

نشأة الاحتكاك الديني بين الإسلام والغرب
دراسة من واقع حوليات البطارقة اليونانيين
إعداد

دكتور/ محمد بن عبد الرحمن العريفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بالرياض
جامعة الملك سعود

مقدمة:

من الإشكاليات التي أثّرت كثيراً، وعادت لطرح نفسها مجدداً - خاصة في مرحلة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ - إشكالية العلاقة الملتبسة بين الغرب والعالم الإسلامي، والتي أخذت وتيرتها في التصاعد رغم مرور قرابة سبع سنوات على الأحداث التي شكلت تاريخاً فارقاً في علاقة الغرب بالإسلام.

تلك الإشكالية، في واقع الأمر، تأخذ عدة أبعاد، منها ما هو ديني ، وسياسي، إلى غير ذلك؛ مما أسهم في تعميق الهوة بين الغرب والعالم الإسلامي، والذي انعكس في ردود الفعل الغربية عبر الهجمات الإعلامية الشرسة التي شنتها منظومة الغرب الإعلامية، وهدفت من وراءها إلى تشويه صورة الإسلام، ومحاربته على أصعدة عدة، بوصفه "عدو" للحضارة الغربية. وقد نجم عن هذه الحملات عديد من الآثار السلبية؛ نظراً لقوة تأثير الإعلام وشدة نفوذه في عصر التكنولوجيا والمعلومات، فالإعلام هو أحد أهم مصادر المعرفة للرأي العام؛ بالتالي أحدث ظهور الصورة المشوهة للإسلام أضراراً فادحة، مست الأمة الإسلامية، وألقت بظلالها السلبية على صورة الإسلام الحقيقية لدى الرأي العام العالمي، خاصة وأن تلك الحملات كان على الدوام يتم تنفيذها بشكل ممنهج واحترافي يخدم خططاً - بل واستراتيجيات - ذات أبعاد سياسية وأيديولوجية.

وفي بحثنا هذا، نتناول الاحتكاك الديني بين الإسلام والغرب وهو يمثل أهم جوانب العلاقة بين الإسلام والغرب، ، وهي تمثل مرحلة من المراحل الفارقة التي مرت بها العلاقات بين الإسلام والغرب ملخصها "صراع الوجود أكون أو لا أكون"؛ والتي تفسر بالضرورة ما آل إليه واقع العلاقة، وتسهم في فهم أوضح وأكثر عمقاً

لها. واقتضت طبيعة هذا الموضوع تقسيمه إلى خمسة مباحث يسبقها تمهيد على النحو التالي:

تمهيد: نشأة العلاقة بين الإسلام والغرب.

المبحث الأول: نظرة الغرب للإسلام.

المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية والتتصير المسيحي.

المبحث الثالث: الجدل الديني.

المبحث الرابع: موقف المسلمين والغرب تجاه اتهامات اليهود لديانتيهما.

المبحث الخامس: التأثير الفكري الديني المتبادل بين الإسلام والغرب.

فأرجو من الله التوفيق والسداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

د/ محمد بن عبد الرحمن العريفي

الأستاذ المساعد بكلية المعلمين

جامعة الملك سعود بالرياض

تمهيد

نشأة العلاقة بين الإسلام والغرب

تمهيد: نشأة العلاقة بين الإسلام والغرب:

باستعراض عام لتاريخ علاقة الغرب بالإسلام، نجد أن عمر هذه العلاقة من عمر تاريخ الإسلام نفسه؛ حيث كان ظهورها مقترناً بظهور الإسلام، وامتدت بعد ذلك عبر مراحل التاريخ المختلفة، كما مرت علاقة الإسلام بالغرب بعدة محطات تاريخية فارقة، كان لها أثر بالغ في تطور العلاقة بين الكيانين واتخاذها أبعاد أخرى أعمق وأكثر تعقيداً.

لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في عام ٦١٠ من الميلاد؛ وكان من الطبيعي في ذلك الوقت أن تكون الفترة المكية من حياته صلى الله عليه وسلم خالية من كل ما يثير عداوة دولة الروم (التي تعرفها المصادر العربية باسم دولة الروم)، والجدير بالذكر أن المسلمين وهم في مكة كانوا يتعاطفون مع الروم في حروبهم مع الفرس باعتبارهم أهل كتاب (١)، وقد جاء صدر سورة الروم ليؤكد ذلك (٢).

وفي العام الخامس الهجري (٦٢٥ من الميلاد) تعرضت القوافل الإسلامية للأذى على يد حلفاء الروم، وهم عرب الشام بدومة الجندل، الذين كانوا بدوًا ومن عاداتهم أن يقوموا بغارات سريعة على الحدود بهدف النهب والسلب، وقد كانت هذه الغارات أشبه شيء بحرب العصابات أو حرب عمادها الكر والفر، وهو جانب لم تكن الإمبراطوريتان العظيمتان على خبرة كبيرة فيه، إضافة للصعوبة التكتيكية في مواجهة هذا النوع من العمليات من قبل الجيوش النظامية، وهكذا وجد الروم والفرس أن خير وسيلة لحماية حدودهما من تلك الغارات، هو اصطناع بعض القبائل العربية وتوطينها في أراضي الإمبراطوريتين، وإسناد مهمة الدفاع عن الحدود إلى تلك القبائل التي عرفت كيف تتعامل مع هؤلاء البدو

(١) ابن عساکر، تاریخ مدینة دمشق، تحقیق: صلاح الدین المنجد، (دمشق: ١٩٥١م): ١ / ٣٥٧

(٢) سورة الروم: الآيات ١-٣.

وتضع حدًا لهجماتهم، وكان من أبرز من استعان بهم الروم من عرب الشام تحقيقًا لهذا الغرض، هم الضجاعة والغساسنة (١).

وفي العام السادس من الهجرة (٦٢٧ من الميلاد) وقعت ثلاث مواجهات بين المسلمين وحلفاء الروم من عرب الشام أيضًا في سياق المناوشات التي كانت تحدث بين الطرفين (٢).

وفي العام السابع من الهجرة (٦٢٨ من الميلاد) سعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نشر الدعوة الإسلامية خارج المدينة، فبعث رسلاً بكتب إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام، وكان من بين هؤلاء: هرقل امبراطور الروم، والمقوقس حاكم مصر، وأمراء الغساسنة، وكانت وجهة نظر هرقل تجاه هذا الأمر تتسم بالإيجابية، إلا أنه لم يمكن تأسيس علاقات جيدة مع المسلمين بسبب عرقلة القساوسة من حوله لهذا الأمر - على خلفية عقيدة على الأرجح - إضافة للظروف السياسية التي كانت تمر بها دولة الروم في ذلك الوقت (٣).

أما الغساسنة فكانوا عدوانيين في استقبالهم لكتب الرسول صلى الله عليه وسلم وسفرائه، "فقد قتلوا الحارث ابن عمير الأسدي الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حاكم بصرى" (٤)؛ ولعل هذا هو السبب الذي اشتعلت على أساسه نار الحرب بين المسلمين ودولة الروم، والتي جرت عبر سلسلة من المواجهات والمعارك مثل مؤتة وتبوك وانتهاء بحملة أسامة بن زيد، وقد كان عرب الشام هم المسئولين في المقام الأول عن إشعال هذه الحروب بين المسلمين والروم.

(١) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة: دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٣٣ - ٣٤

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت: ١٩٥٢ م: ٢ / ٢٣٠

(٤) المصدر السابق: ٢ / ٢٣٠

وبفحص ملابسات معركة مؤتة التي جرت في سنة ٨ من الهجرة (٦٢٩ ميلادية)، وتتبع تطوراتها، يتبين أن المسلمين لم يسعوا إلى المواجهة مع الروم في الميدان، بل كان هدفهم الأول هو تأديب عرب الشام ووضع حد لاستفزازاتهم المتكررة التي تجاوزت حد الاحتمال، غير أن أخطر ما تمخضت عنه معركة مؤتة، كان بروز الروم على مسرح الصراع ضد المسلمين، ليدرك المسلمون بعد هذه الموقعة أنهم لا يتعاملون مع عرب الشام، بل مع من وراءهم من جحافل الروم(١).

ختم الرسول ﷺ أعماله العسكرية بغزوة تبوك عام ٩ هـ / ٦٣٠ م ، عندما بلغته الأنباء بأن صاحب تبوك يحشد جموعاً كبيرة من عرب الشام والروم(٢) ، وقد خرج ﷺ على رأس ٣٠ ألفاً قاصداً تبوك ، ولم يواجه بها عدواً ، ولم يلق فيها أي كيد ، ولم يحدث فيها قتال . خلا ما كان من سير خالد بن الوليد إلى دومة الجندل وأسرره صاحبها(٣) ، وعقد الرسول ﷺ معاهدات مع أهل دومة الجندل وآيلة ، ومقنا ، وأنرح والجرباء(٤) ، ولكن أهم ما ترتب عليها من نتائج بالنسبة لمستقبل العلاقات الإسلامية الرومانية هو بسط النفوذ الإسلامي على مناطق كانت تخضع تقليدياً للسيطر الروم رغم أن معظم سكانها كانوا عرباً ، ويعد ذلك في الواقع نقطة البداية للسيطرة الإسلامية على بلاد الشام(٥).

وفي آخر حياة الرسول ﷺ ضرب بعثاً إلى الشام عرف باسم (بعث أسامة) فرغم أن هذا البعث تم إنفاذه في أوائل خلافة أبي بكر الصديق فقد كان الرسول ﷺ هو الذي وضع تفاصيل خطته وأصدر قرار تنفيذه ، ولكن حالت وفاته دون

(١) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة، مرجع سابق، ص ١٤٣ بتصرف.

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٧١.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠١.

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٩٠.

(٥) عبد الرحمن سالم : المسلمون والروم ، ص ١١٩ - ١٢٠.

إتمامه ، وكانت حملة أسامة سريعة وخاطفة ومحقة للغرض ، فقتل من تعرض له وسبي من قدر عليه (١).

أرسل أبو بكر الصديق حملة إلى الشام بقيادة خالد بن سعيد بن العاص لقتال الروم وأحلافهم من عرب الشام من بهراء وسليح وغسان وكلب ولخم بقيادة القائد الروماني باهان Bannes الذي استدرك خالدًا بقواته إلى مرج الصفر - الواقع إلى الشرق من بحيرة طبرية- ، وطوقه باهان بقواته فانهزم الجيش الإسلامي ، وفر خالد بن سعيد بنفسه تاركاً جيشه تحت رحمة الروم ، ولكن عكرمة بن أبي جهل نجح في تغطية انسحاب قوات المسلمين إلى حدود الحجاز ، وظل مقيماً هناك في انتظار المدد أو أوامر أخرى (٢) .

وفي أوائل صفر عام ١٣ هـ / ٦٣٤ م أرسل أبو بكر ثلاثة جيوش نحو الشام لا يزيد مجموعها عن ٢٤ ألف مجاهد يقودها ثلاثة شباب من المسلمين ، هم عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وأمدهم أبو بكر بنفر بعد نفر من المسلمين وكان أبو عبيدة بن الجراح على رأس بعض هذه الإمدادات (٣) ، وحدثت عدة اشتباكات متفرقة مع قوات الروم كما حدث في قريتي داثن والعربة (٤) وانتهت بانتصار المسلمين (٥) .

ورغم ما أصابته الجيوش الإسلامية من فوز في أعمالها العسكرية المتفرقة في بلاد الشام فإنها لقيت في سبيل ذلك جهداً ونصباً ، فاضطرت القيادة الإسلامية إلى تعديل خطتها لمواجهة الوضع الجديد ، إذ رأى أبو بكر توحيد

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

(٢) الطبري: المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٣) البلاذري: المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٤) داثن: قرية من قرى غزة ... وعربة منخفض كبير يمتد إلى الجنوب من البحر الميت والقريتان من قرى فلسطين . السيد عبد العزيز سالم : للتاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت : بدون تاريخ ، ص ٢١٥ .

(٥) البلاذري: المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٩-١٣٠ .

الجيش الإسلامية وحركاتها تحت لواء واحد ، فاستدعى خالد بن الوليد من الميدان الشرقي في العراق ليتولى قيادة الجيش الإسلامية في الشام^(١).

وسرعان ما وصل خالد إلى الشام وانضم إلى القوات الإسلامية التي تولى قيادتها ، وعندئذ بدأت الحملات النظامية في الشام فافتتح خالد سلسلة انتصاراته بحادث تاريخي يعتبر تحقيقاً لنبوءة الرسول ﷺ وبداية للسير قدماً بهذه الأمنية إذا استولى على بصرى عام ١٣ هـ / ٦٣٤ م ، والذي كان استشهاده مبعوث النبي ﷺ إليها قطب الرحي الذي دارت عليه سياسة الرسول ﷺ الحربية وكذلك سياسة خليفته أبي بكر إزاء الشام . ثم توالى انتصارات خالد بن الوليد ففتح أجنادين^(٢) ، ولم تفلح جهود الإمبراطور هرقل للقيام بهجوم مضاد يشل حركة الجيش الإسلامية التي فتحت دمشق سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م^(٣) . كما استطاع خالد بن الوليد أن يقضي على جيش الروم الذي وصل إلى جنوب الشام في معركة اليرموك الفاصلة عام ١٥ هـ / ٦٣٦ م والتي تقرر بعدها مصير الشام ، وقد حق لهرقل أن يودعها قائلاً : " عليك يا سورية السلام ! ونعم البلد هذا للعدو"^(٤).

وبموقعة اليرموك انفرط عقد المدن الشامية في يد المسلمين ، وقد بدأ المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح فتح مدن الشام الداخلية التي كانت تسير فيها القوافل التجارية القادمة من مكة والمدينة إلى دمشق ، وعلى هذا الطريق نفسه امتدت العمليات الحربية الإسلامية من شرق الأردن وحتى المناطق الشمالية التي تشمل حمص وحماه وأنطاكية ، وعلى نفس الطريق امتدت الفتوح الإسلامية إلى المنطقة الجنوبية التي تشمل مدن فلسطين مثل غزة ويافا وعمواس وإيليا

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣١ ؛ Kaegi : Op. Cit, p. ٦٧.

(٢) أجنادين : بلدة تقع بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين. ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٧.

(٣) Histoire D,Heraclius.Trans.By.f.Macler. Ch.xxxi,Paris:١٩٠٤: p,٩٨;

خليفة بن خياط:تاريخه ، ١٣٠/١

(٤) اللبائري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٣ ؛ خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ١٣٠.

وبيت المقدس^(١) . وقد ترك المسلمون فتح المنطقة الساحلية من الشام - وهي التي فصلتها سلسلة جبال لبنان عن المنطقة الداخلية - في أيدي الروم الذين أقاموا بها معازل وحاميات للدفاع عنها^(٢) . وقد وضحت خطورة بقاء المدن الساحلية ولا سيما صور وعكا في أيدي الروم ، فقد كانت إمدادات الروم تأتي من هذه المنطقة بالذات لمساعدة باقي المدن ، وبناء على ذلك فقد فتح معاوية بن أبي سفيان عرقة وقيسارية في عهد عمر بن الخطاب ، وفي عهد عثمان بن عفان فتح طرابلس أكبر ميناء للروم في الشام^(٣) .

وفي عام ١٩ هـ / ٦٣٩ م عبر المسلمون نهر الفرات وفتحوا الرها ، ثم عبروا نهر دجلة واحتلوا أرمينية الرابعة ومعها مدينة آمد **Amida** ، وسقطت سمساط **Samasata** شمال شرق الرها^(٤) .

ثم جاء فتح المسلمين لمصر في عام ٢٠ هـ / ٦٤٠ م^(٥) ثم تلا ذلك إقليم المدن الخمس في شرق ليبيا ، ثم هاجموا طرابلس غير أنهم جلوا عنها^(٦) .

ازدادت الحروب بين الطرفين - المسلمين والروم - اشتعالاً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتدفقت القوات الإسلامية في البلاد التي سيطر عليها الروم من قبل ، وأخرجوهم منها بعد معارك طاحنة كانت الغلبة فيها للمسلمين بفضل القيادة الراشدة للجيش الإسلامية^(٧) .

بعد هزيمة جيوش الروم في معركة اليرموك ينسوا واستسلموا وانسحبوا انسحاباً كاملاً ، فما هي أسباب ذلك ؟

١) Sebeos: Op.Cit., pp.٩٨-٩٩.

٢) Kaegi: Op. Cit., pp.٦٠-٦٦.

٣) البلاذري: المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

٤) Ghevond: Op.Cit., pp.٩٩-ff.

٥) Jhon of Nikiu: the Chronicle of John. Bishop of Nikiu., ed and Trans., ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٧٦-١١١ ؛ ٩-١١٨. pp. ١٩١٦., London: R.H.Charles.,
بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٤٦-٢٤٥ .

٦) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

٧) عماد الدين خليل، في التأصيل الإسلامي للتاريخ، دار الوفاء، المنصورة: ١٩٩٨م ص ١٣٧

الحقيقة إن إرادة الله سبحانه وتعالى لنشر الإسلام ونصر المؤمنين هي القوة التي جعلت الروم ربما لا ييأسوا فقط بل يخافوا ويرهبوا المسلمون لقوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (١). وهناك حديث أورده البخاري في صحيحه بسنده أن النبي ﷺ قال: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر " (٢) .

وإذا جمعنا الآية القرآنية وهذا الحديث ، وطبقنا هما على صحابة الرسول ﷺ وفتوحاتهم ، فمعني هذا أن الرعب أصاب الروم ولذلك لم يستطيعوا المقاومة. على أية حال استمرت المعارك والفتوحات ضد دولة الروم في عهد الأمويين، ففتح المسلمون في هذه المرحلة كل ممتلكات الروم في آسيا وشمال إفريقيا، ثم انتقلوا إلى إسبانيا ففتحوها أيضا.

(١) سورة الحشر : آية رقم ١٣ .

(٢) العسقلاني : فتح الباري لشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ج ١ ، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، كتاب التسييم ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

المبحث الأول

نظرة الغرب للإسلام

تركت انتصارات المسلمين على الروم أثراً نفسياً شديداً وقع على كتابات رجال الدين الروم المعاصرين لتلك الأحداث الحربية، ولم نعثر على شعر روماني يتناول هذه الأحداث، وقد قام "ولتر كيجي **Walter Kaegi**" بتجميع بعض مصادر الأدب الديني المعاصر، التي ظهر فيها صدى الأحداث الحربية: فيقول سيودو ميثوديوس **Pseudo Methodius** أو (سيودو المزيف)، "من يثرب كان نبع الكوارث، فقد جاء الشيوخ والشباب من الرجال والنساء والأغنياء والفقراء من العرب جاعوا إلينا، بينما نحن نعاني من الجوع والظما، كما نعاني من الأغلال الثقيلة، ونخاف الموت، ولم نعد نقدر الصليب، ولم نعد نعمل بتعاليم السيد المسيح، الذي نبأنا بذلك وبأن رجالنا يشردون كالحيوانات في البرية، والمواشي ستموت، وستقطع الأشجار في الغابة، وستنبل النباتات الجميلة التي كانت تغطي الجبال، والمدن الرائجة سوف تهجر غرباً وستؤخذ أقاليمنا، وذلك لأننا نخاف الموت، ولكن الأرض ستكون ملوثة وتتبع بالدماء بعد أن كانت تنتج الخير"^(١).

ويقول يوحنا بن بنكاي **Johm Bar Penkaye** : "نحن لا نستطيع أن نقول إن المسيح لا يعود إلى العالم مرة أخرى، كذلك كان ظهور أبناء هاجر أمراً طبيعياً ، ولكن يجب علينا العودة إلى ديننا، ونحن معشر المسيحيين سيرتنا حميدة، ولكي يستجيب لنا ربنا علينا أن نحسن عبادته، ونعمل بوصايا رهباننا ونحترمها، والآن عندما جاء هذا الشعب في قدر الله، وأخذ ممالكنا بالحروب بشكل مخز لنا، والله منحهم النصر علينا، لأنهم عملوا بتلك الكلمات التي كتبوها وأنجزوها : (عشرة رجال يواجهون مائة، وعشرون يواجهون ألفاً) . كيف ونحن نفرع بين الناس، ونجرد الرجال بأسلحتهم وتجهيزاتهم، وهؤلاء يحاربون بدون تروس ودروع. إن ما أخذ بالسيف لا يحرر إلا بالسيف، وبعد انتهاء

١) Kaegi: op. cit., p. ٢١٥.

المعارك لا تستخدم الأسلحة، ونحن لا نستطيع الانتصار عليهم بدون عون من الله الذي يقول: (إن نهاية المسيحيين يصنعونها بأنفسهم وبما كسبت أيديهم بسبب أخطائهم وبعدهم عن الدين). لذلك هزمنا وأخذ الأسرى من أبنائنا وبناتنا، ودخلوا في هوان العبودية، وعملوا كخدام لهم، ونحن ركنا إلى اللهو والملذات في أوقات السلم، ولذلك أرسل إلينا الخالق المبدع هذا الشعب المتبربر الذي لم يرقب فينا شفقة ولا رحمة^(١).

لقد جاءت نظرة الغرب للإسلام والمسلمين سيئة للغاية
لعدة أسباب هي :

١- في عام ٦٢٢م بدأت انتصارات الغرب (الروم) على الفرس، وهو نفس العام الذي بدأ فيه التاريخ الهجري عند المسلمين، وهو بداية إرساء قواعد الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، والتي كتب لها أن تترث دولتي الفرس والروم معاً، ولم يمض وقت طويل حتى استولت على كل ما استعاده هرقل من أجزاء إمبراطوريته في الشرق من الفرس، وكان لهذا الأمر وقعه السيئ على رجال الدين المسيحيين، فجاءت كتاباتهم مجحفة ضد الإسلام^(٢)

٢- وكان هدف الفتوحات الإسلامية تأمين نشر الدعوة الإسلامية حيث إن الإسلام لم يكن مقصوراً على العرب بل هو دين للناس كافة، وذلك لقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾^(٣). وبذلك تخلت المسيحية عن مكانتها في كونها ديناً عالمياً، وهو الدور الذي كانت تلعبه المسيحية في حياة وفكر المواطن الغربي بصرف النظر عن درجته الاجتماعية، وهذا كان له وقعه السيئ عليهم .

٣- وكان من أهداف الإسلام تحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهو بذلك قضى على السلطة الروحية التي كان يمارسها كل من

١) Ibid :p. ٢١٦.

٢) Kaegi : Byzantium and the Early Islamic Conquests, Cambridge: ١٩٩٦. p.٢١٣.

٣ (سورة سبا : أية رقم ٢٨)

الإمبراطور ورجال الدين، فقد قال الإمبراطور ليو الثالث عن نفسه : " أنا حارس مفاتيح السماوات وراعى القطيع " (١) ، ويقول يوحنا الدمشقي : " الأسقف هو سفير لأم الكنيسة لدى أولادها " (٢) ، فجاء الإسلام ولم يجعل هناك واسطة بين العبد وربّه لقوله تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ (٣) .

٤- كما كان من أهداف الإسلام تحريم عبادة الأوثان وشرب الخمر وما شابههما من قريب أو بعيد ، ولما كانت التماثيل (الأيقونات) (٤) والخمر من أسس التعاليم المسيحية فإن صناعتها كانت في يد رجال الدين، وقد كان تحريم الإسلام لهما سبباً في حرمانهم من العائد المادي الذي كان يعود عليهم من وراء ذلك (٥) ، فكان على رجال الدين أن يشوهوا هذا الفكر الإسلامي .

٥- كما كانت إقالة يوحنا الدمشقي وغيره من رجال الدين والموظفين الغرب من أعمالهم الإدارية في الدولة الإسلامية حرماناً لهم من العائد المادي، الذي كان يعود عليهم من قيامهم بهذه الوظائف (٦) ؛ فجاءت نظرتهم الحاقدة للإسلام والمسلمين .

٦- كما ينظر الإسلام والمسلمون إلى المسيحية على أنها دين سماوي منزل من قبل الله سبحانه وتعالى ، وما عيسى بن مريم إلا رسول وأمه صديقة وليس

١) Vasiliev : history of the Byzantine empire, madison ١٩٥٨. P. ٢٥٥.

٢) Damasceni : De haeresibus. , P.G.M. , tome xciv. , Paris: ١٨٦٠. , col. ١٥٦٦.

٣) سورة البقرة: آية رقم { ١٨٦ } .

٤) الأيقونات Icons: مشتقة من الفعل اليوناني القديم Eiko بمعنى أنا أشبه أو أنا أمثل والاسم Eikon معناه الصورة المقدسة، انظر ابراهيم على طرخان: الحركة الأيقونية في الدولة البيزنطية، ص ٦٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦ .

٥) Leslie Barnard : the theology of Images. , Iconoclasm. , Birmingham: ١٩٧٥, pp. ٧-٩

علي الغمراوي : مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبي، ص ٣٠٠، ٣٢٠، مكتبة سعيد رافت، القاهرة ١٩٧٧ م.

٦) Nasrallah.J : Saint jean de Damas.p. ٩٤

إلهاً أو ابن إله؛ وبذلك كان الإسلام في نظر رجال الدين يهاجم المسيحية في أسرارها المقدسة (١).

ونتيجة لما سبق ذكره جاءت نظرة الغرب السيئة إلى الإسلام والمسلمين، ونجد ذلك من خلال كتاباتهم التي تقع في المصادر الغربية اليونانية واللاتينية المتنوعة لرجال الدين في الدولة الإسلامية ورجال الدين في دولة الروم:

أ- أما عن رجال الدين في الدولة الإسلامية ؛ فكان يمثلهم يوحنا الدمشقي الذي صب كل ما في جعبته من عداوة للإسلام في مؤلفه الضخم " ينبوع المعرفة " وبالتحديد في المجلد الثاني " خلاصة الهرطقات " الذي ألف في الطعن على الإسلام والمسلمين، وللحق فإن هجوم يوحنا الدمشقي على الإسلام إنما جاء بطريقة غير معقولة وغير مقيدة بحد أو مضبوطة بقيم، لقد هاجم يوحنا الدمشقي كل شيء يشتمل عليه الإسلام لم يستثن منه شيئاً ، وبخاصة ما يتصل بالله تعالى وبالمسيح عليه السلام ، هذا ولم يسلم من نقده حتى تلك الموضوعات المشتركة بين الإسلام والمسيحية، وقد ذكر " أن الإسلام واللا أيقونية من الهرطقات (٢) الخارجة عن الديانة المسيحية " (٣).

وقد نقد يوحنا الدمشقي القرآن دون رحمة ، واعتبره من تلفيقات محمد ﷺ ، وزعم أنه ﷺ اختلقه ليبرر به شهواته المستعرة، وأشار يوحنا في هذا الصدد إلى قصة زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش ، ثم زواج الرسول ﷺ منها بعد أن طلقها زيد ، زاعماً أن الآيات الخاصة بزيد بن حارثة ملفقة لتبرير هذا

١) Jeffrey : op. cit., p. ٣١٠.

٢) الهرطقات : مفرداً هرطقة Heares كلمة يونانية معناها الرأي المستقل أو الاجتهاد الفردي ، ولبتداء من القرن الرابع الميلادي استعملت الكنيسة هذا اللفظ لدمغ من لا تتفق آراؤه مع قانون الإيمان الكنسي وما تتفق عليه في المجامع المسكونية المبكرة. اسحق عبيد : محاكم التفتيش نشاطها ونشاطها ، للقاهرة : ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ، ص ١٤٠.

٣) damasceni : de haeresibus. col. ٧٦٥

للزواج الشهواني منها ، واتهم يوحنا المسلمين بأنهم يعبدون ناقّة الله (١) ،
والمشار إليها في سورة الشمس في قوله تعالى : ﴿ناقّة الله وسقياها﴾ (آية ١٣).
ولقد زعم يوحنا الدمشقي أن محمداً ﷺ ، قد لقّن القرآن من بحيرا الراهب
الذي تكلمت عنه كتب السيرة، والذي رأى النبي ﷺ في الشام وهو لا يزال صغير
السن ، ورأى علامات النبوة بين كتفيه ﷺ ، وقد سمى يوحنا الدمشقي بحيرا
الراهب بالراهب الإرياني Arian monk (٢) أي أنه من أصحاب الفكر
الأريوسي .

وهذا الاتهام تعرض له الرسول ﷺ في حياته من المشركين في مكة ، وقد
نقله إلينا القرآن الكريم مشفوعاً بالرد عليه ، بقوله تعالى : ﴿ولقد نعلم أنهم
يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾
(النحل : آية ١٠٣).

يعنى أنه زعم بأن محمداً ﷺ قد تلقى القرآن من نصراني أعجمي لا يعرف
العربية فكيف يقبل العقل ذلك ؟ إذ لم يكن محمد ﷺ يعرف غير العربية ، ولم
تكن كتب النصارى قد ترجمت إلى اللغة العربية إلا بعد قرون من وفاته ﷺ ، بل
إنه كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يحصل الإنسان في هذا الوقت
على نسخة من هذه الكتب؛ فكيف بالله يستطيع محمد ﷺ أن ينقل عنها أو يتلقى
من العارفين بها ؟.

نستخلص مما سبق أن رجال الدين المسيحي في ديار الإسلام نظروا إلى
الإسلام على أنه مذهب قائم على الهرطقة، وليس ديناً جديداً، وأن الرسول الكريم
تلقى تعاليمه على يد الأريوسيين المخالفين للمسيحية في الشام من خلال زيارته
لشام .

ب - أما عن نظرة رجال الدين داخل دولة الروم إلى الإسلام وإلى الرسول ﷺ
والمسلمين فكانت نظرة سيئة جداً؛ فنجد بين سطور المصادر اليونانية واللاتينية

١) Ibid: Col . ٦٧٠.

٢) Ibid: Col . ٦٦٨.

عند حديثها عن المسلمين أوصافاً قبيحة للرسول الكريم ﷺ بأنه : " الدجال - الكذاب - الزاني - مثير الفتن - المجنون - المصاب بالصرع - عدو الله - المحتال - الشيطاني " (١) ، وغيرها من الألقاب القبيحة وزعم نيستاس خونيئات Nicetas Choniatas أن محمداً - ﷺ - قد أقر بأنه قد اقتبس نصوص قرآنه من كتب اليهود والنصارى فإنه مادام أقر بذلك، فإنه بالضرورة يكون قد سلم بصحتها، وما دام قد وضع في ثنايا هذه النصوص التي اقتبسها من الكتاب المقدس، كلاماً من عند نفسه، ادعى أنه جاءه من المصدر نفسه (أي الله)، فإنه يكون قد جعل الله إما معدوماً وإما متغيراً، وإن إلهاً لا يقبل القانون النصراني لا يمكن أن يكون إلهاً حقاً، وبناء عليه يكون رب محمد - ﷺ - شيطان، ويذكر نيستاس خونيئات أن كنيسة (آيا صوفيا) في عام ٦٤هـ / ٦٨٣م ، وجهت للإسلام وللرسول ﷺ وللمسلمين اثنتين وعشرين لعنة ضد معتقداتهم ، وهى في النهاية تقضى بحرمانهم جميعاً من الانضمام إلى المؤمنين ، ويذكر نيستاس خونيئات أن الكنيسة منذ ذلك التاريخ حاولت جاهدة العمل من أجل القضاء على الإسلام (٢) .

كما نظروا إلى المسلمين على أنهم عبدة للأوثان ممثلة في الصخرة المقدسة في بيت المقدس والكعبة المشرفة بمكة ، ويعبدون النجوم في السماء ، فيقول بطريرك القسطنطينية جرمانوس في عام ١٠٧هـ / ٧٢٥م : "إن المسلمين في الصحراء يتوجهون إلى صخور صماء لا روح فيها ويقدسونها؛ ففي البداية قدسوا الصخرة المقدسة التي يزعم محمد - ﷺ - أنه صعد عليها إلى السماء لملاقاة ربه، وقدسوا الكعبة المكونة من صخور اقتطعوها بأيديهم ، وقدسوا الحجر الأسود الذي يزعم محمد - ﷺ - أنه أتى به من الجنة" (٣) ، ويزعـم

١) Nicphorus: Breviarum Historicum de Rubus Gestis post Imperium Mauricii .,P.G. M., Tome .C ., Paris: ١٨٦٠, Col ٩١٣..

٢) Nicetas Choniates: historia., P.M.G Paris ١٨٦٥ ,col . ١٢٣ - ١٢٤

٣) Mansi.J : sacrorum conciliorum ova et amplissima collectio svinice. ١٧٧٠.,vol III. p. ٣٣٨

بولتماوس الرهاوي ، وقنسطنطين السابع أن المسلمين يعبدون القمر مستبدلين على ذلك بأن المسلمين يترقبونه كل شهر ويهتمون برؤية الهلال أيما اهتمام^(١) ، وجعل كلاهما أن المسلمين يترقبون الأهلة كلها لأنها مواقيت للناس والحج، كما جعل كلاهما أيضاً أن الإسلام هو دين التوحيد الخالص الذي جاء حرباً على عبادة غير الله ، عبادة الشيطان ، أو عبادة البشر ، أو عبادة الظواهر الطبيعية.

وتجمع المصادر اليونانية واللاتينية على أن الأفكار التي جاء بها الإسلام والتي تتعلق بالله وقدرته والمسيح ومريم والأنبياء والمرسلين هي أقنعة استطاع الدجل الإسلامي أن ينفذ من خلفها إلى عقول ضعاف الناس وعوامهم^(٢) .

ونص رسالة ليو الثالث إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز مثال جيد يدل على نظرة الغرب السيئة للإسلام ، فقد ذكر ليو الثالث أن الدين الإسلامي ليس ديناً مدعماً من قبل الله ، والقرآن الكريم جمعه الخليفة عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي وفق هواهما وليس من عند الله، وحادثة الإسراء والمعراج أمر كاذب، والمسلمون شعب منقسم على نفسه رغم أنهم يتكلمون لغة واحدة ، وتقديس الكعبة أمر خرافي، ويقدمون الأضحية إلى الوثن وهو الحجر الأسود ، والخليفة الثاني عمر يقول عنه : "إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر"^(٣).

وعلى هذا الأساس ، فنظر الغرب داخل إمبراطوريتهم إلى الإسلام والمسلمين على أنهم وثنيون يقدسون الصخور التي لا شكل لها، ويعبدون القمر والنجوم في السماء ، وهم بذلك عباد للأصنام؛ وإن مجرد التفكير في القول بأن الإسلام دين أو أن محمداً ﷺ رسول أمر غير مقبول عندهم.

وتظهر سير القديسين أن المسلمين قتلة ومحبون لسفك الدماء ، وأنهم غلاظ القلوب لا يرحمون الضعفاء من الشيوخ والأطفال والنساء ، وتصف لنا تلك السير

٢) Bartholamei edesseni : contra Muhamed ., P.G.M .,Tome. XCIV .,Paris: ١٨٦٠.,Col.١٤٥٢; Constantine VII : D .A . I .B ., col . ١٤٩.

٣) Hamartolus.G :Chronicon., ., P.G.M.Tome.CX.Paris ١٨٦٣. Col . ٩١٣

٤) Ghevond : Histoir de Guerre et Canquetes de Arabe en Armenie., Trans. By.V.Chadnozurian., Paris: ١٩٥٦pp . ٤٣ - ٩٩.

حالة الرعب والاشمئزاز من ظهور المسلمين حيث تشبههم بالنيران التي تهلك كل شيء (١).

المبحث الثاني

الدعوة الإسلامية والتتصير المسيحي

دعا كل من المسلمين ونصارى الغرب لدينه، وما الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية إلا وسيلة من وسائل تأمين الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام ، وعندما تم فتح المسلمين للشام ومصر اتضح للغرب أنهم مصممون على البقاء ، خاصة عندما أحسوا أن المسلمين قاموا بالدعوة للإسلام بين رعايا الغرب في البلاد التي فتحوها، فشعرت كنيسة آيا صوفيا بالخطر الذي يحيط بالمسيحية ومكانتها في الشرق، فتحركت لمحاربة الإسلام والقيام بعمليات التبشير بالمسيحية .

الدولة الإسلامية ونشر الدعوة الإسلامية بين رعاياها من المسيحيين:

فقد كان أهم ما يميزه هو التسامح الديني؛ وقد ترك المسلمون الكنائس للمسيحيين، وسمحوا لهم بأداء شعائهم الدينية ، ولم يطلبوا منهم سوى دفع الجزية المحددة على القادرين منهم حسب أوضاعهم المالية فضلاً عن ولائهم السياسي الثابت للحكم الإسلامي ، وقد ظل بيت المقدس مفتوحاً للحجاج المسيحيين (٢)، كما ظلت كنائس أنطاكية والإسكندرية ومدارسهما في أيدي المسيحيين (٣) ، وجددت لهم بناء كنيسة مدينة أنطاكية (٤) ، وفي ظل الخلافة الإسلامية استأنف المسيحيون مزاوله أعمالهم التي كانوا يكتسبون أرزاقهم منها مثل صناعة الخمر، والمتاجرة فيها، وممارسة لعب الميسر رغم أنها جميعاً محرمة شرعاً في الإسلام. ومن أمثلة هذا التسامح تلك المعاملة الطيبة التي كان يلقاها الشاعر الأخطل المسيحي من خلفاء بني أمية عندما كان يدخل عليهم

١) Kaegi : op .cit ., pp . ٢٢١ - ٢١٧ .

١) Vasiliev : Byzantine Empire., pp. ٢١٦-٢١٧ .

٣) فليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، ٩٨ / ٢ بيروت ١٩٥٠م .

٤) Finlay : Finlay : History of Byzantine Empire., New York: ١٩١٤, vol.I., p. ٤١٠ .

والصليب يتدلى من عنقه^(١)، ويدل ذلك على تسامح المسلمين مع رعاياهم المسيحيين، ونتيجة لهذا التسامح كان هناك إقبال واضح على اعتناق الإسلام. وهذا ما يؤكد كدريوس Cedrenus حيث شعر بالمرارة من هؤلاء الذين أسلموا ؛ فيقول: "وقد يعجب المرء منا من انتشار هذه البدعة المخالفة لله وللبنسرية ، ودامت البدعة إلى يومنا هذا ويعتبرونها مذهباً صحيحاً من قبل الله ، وأناس من العميان والمجانين أعتقوا هذا المذهب"^(٢).

وقد حافظ عمر بن عبد العزيز على اتباع ما أمر به الإسلام، لذلك عامل أهل النمة معاملة حسنة، وحافظ على ممتلكات المسيحيين، وقد حافظ على ملكيتهم لكنائسهم القديمة. هذا وقد أصدر الخليفة عمر بن عبد العزيز الكثير من التشريعات الخاصة بأهل النمة، وأرسلها إلى عماله في البلاد ومنها : " أن لا يمشى نصراني إلا مفروق الناصية، ولا يلبس قباء، ولا يمشى ألا بزنانر^(٣) ، ولا يلبس طيلساناً ولا سراويل ذات خدمة^(٤)، ولا نعلأ لها عذبة^(٥) ، ولا يتخذوا السروج لدوابهم "^(٦).

ولا يعرف السبب الحقيقي الذي حمل الخليفة عمر بن عبد العزيز على اتخاذ هذه التشريعات، ولكن يذكر ميخائيل السرياني سببين لذلك فيقول : " أولاً أراد عمر أن يدافع عن عقائد المسلمين؛ والثاني من أجل القسطنطينية؛ إذ لم يستطع العرب أن يستولوا عليها، ودخلت البغضاء في قلبه، وأصبح يعادى المسيحيين"^(٧).

(١) فليب حتى : المرجع السابق، ص ٩٩-١٠٠.

٢) Cedrenus Historiarum Compendium .P.G.M.Tome.CXXI.Paris ١٨٦٣., col.٧٤١.

٣) الزنار : هو ما يشد علي الوسط، وهي كلمة يونانية الأصل ، والجمع زنانير . المنجد : ص ٣٠٨.

٤) خدمة : رباط السراويل عند أسفل الساق. المنجد ص ٤١٨.

٥) عذبة : الأطراف من كل شيء. ابن عبد الحكم : ص ٨٩ هامش ١.

٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٠٥/٥. دار صادر بيروت ١٩٨٢م.

٧) Michel le Syrien Chronique.ED.and.tr.B.J.B.Chabot.in.jv.Paris ١٩٠٥., p.٤٧٠.

ويرى الدكتور إبراهيم العدوي أن فشل المسلمين في حصارهم الثاني للقسطنطينية (٩٩ - ١٠٠ هـ / ٧١٧ - ٧١٨ م) ربما دفع المسيحيين إلى أن يبدوا نوعاً من الشماتة أو الابتهاج مما حمل الإدارة الإسلامية على انتهاج هذه المعاملة. ولكن هذه الإجراءات لم تدم طويلاً ، ومما يدل على ذلك أن العمال المسلمين أباحوا للمسيحيين في الولايات الإسلامية العودة إلى حالهم الأول^(١).

ويذكر ثيوفانيس أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (أكره المسيحيين في ديار العرب على الدخول في الدين الإسلامي، وهدد من يرفض ذلك منهم بالقتل، وقد أستشهد عدد كبير من المسيحيين)^(٢)، ويذكر ميخائيل السرياني أن الخليفة عمر بن عبد العزيز: " كان يضطهد المسيحيين بشتى أنواع الطرق لكي يسلموا"^(٣).

غير أن هناك من المؤرخين الغربيين من يرفض ما ذكره ثيوفانيس وميخائيل السرياني؛ فيذكر فلهوزن أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان مسلماً متحمساً مخلصاً، وأن النصارى أحسوا بذلك، وأنه لم يكرههم على الدخول في الإسلام مهدداً لهم بالقتل. وهو فيما يتعلق بالمسيحيين فقد التزم حدود الشرع التزاماً تاماً، وإن بدا الأمر في أعين المسيحيين غير ذلك^(٤). ويذكر أرنولد أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قام بحركة دعوة واسعة النطاق للإسلام ترتب عليها حركة تحول ملحوظ، لكن بلا قهر. لقد قدم للشعوب المحتلة كل لون من ألوان الإغراء لقبول الإسلام حتى كان يمنحهم هبات من المال وقد قيل إنه أعطى في إحدى المناسبات بطريقاً ألف دينار يؤلفه على الإسلام^(٥).

(١) إبراهيم العدوي : النولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص ١٩٣، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.

٢) Theophanes: op. cit., col., p. ٨١٦.

٣) Michl le Syrien: op. cit., p. ٤٧٠.

٤) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية محمد عبد الهادي أبو ريذة، ص ٢٨٩. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨م.

٥) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ص ١٨٦.

ويمكننا أن نستنتج أن ما حظي به الرعايا المسيحيون في الدولة الإسلامية من تسامح ورعاية كان من بين الأسباب الأساسية التي جعلت الدولة الإسلامية ملاذاً للمضطهدين من المونوفيزيتين وغيرهم من رعايا الغرب ممثلاً في إمبراطورية الروم، ومن ذلك ما حدث في عام ١٠٦هـ / ٧٢٤م عندما اضطهدهم ليو الثالث، فلبجأوا إلى الدولة الإسلامية، وعاملهم المسلمون معاملة طيبة وقد أسلم بعض هؤلاء المسيحيين وأقاموا في الشام ومنهم من ذهب إلى بيت المقدس^(١). ويقول جرونيباوم: " ولم يكن هناك إلزام للمسلمين لا بأن يدخلوهم في الإسلام، ولا بأن يبيدوهم. ومن هنا قامت شهرة الإسلام بوصفه دين تسامح"^(٢).

وتذكر المصادر العربية مدى إعجاب أهل الشام بعدالة وتسامح الإسلام؛ فيقول الأزدي: " كتب المسيحيون في الشام للمسلمين: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا"^(٣). ويقول الثبلاذري نقلاً عما قاله أهل حمص بالشام للمسلمين: " لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم"^(٤)، ويقول فازيليف إن مثل هذه العبارات تعبر عن استياء أهل الشام المسيحيين من الاضطهاد الديني الذي ذاقوه على يد الإمبراطور هرقل؛ ومن ثم فهذه شهادات للإسلام رائعة، كما أنها تصور بدقة عقلية السكان؛ فالجزء الأكبر من سكان ولايات إمبراطورية الروم في الشام وفلسطين كانوا من أصل ساسي، وأكثرهم من سلالة عربية. وعلى هذا فالفاتحون المسلمون قبلوا في الولايات الخاضعة لهم أناساً من بني جنسهم^(٥).

١) Theophanes : Op. cit., Col. ٨٢٩.

٢) جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٥٥. ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة ١٩٥٦م.

٣) الأزدي : فتوح الشام ، ص ٩٧.

٤) الثبلاذري: فتوح البلدان ، ص ١٣٧.

٥) Vasiliev : Byzantine Empire , vol .I., pp. ٢٠٩-٢١٠.

ومن أسباب انتشار الإسلام بين الرعايا المسيحيين في الشام ومصر هجرة القبائل العربية إلى البلدين وبخاصة في الريف منهما، وكانت هذه القبائل العربية المسلمة تتعايش مع أهالي البلاد عن طريق الضيافة والرباطات في المنازل الخاصة حيث يستقبلون العرب، بالإضافة إلى الارتياح حيث يرعى العرب مواشيهم (١).

كما كان من عادة الخلفاء المسلمين عند توليتهم الخلافة أن يرسلوا سفارات إلى الملوك والأباطرة يدعونهم إلى الإسلام (٢)، وكانت تلك النوعية من السفراء يختارون من الفقهاء الورعين، ولا نستبعد أنهم في طريقهم إلى القسطنطينية كانوا يقومون بالدعوة إلى الإسلام في فترات استراحاتهم في الطريق، كما لا نستبعد أن تكون هذه المحاولات قد حققت بعض النجاح.

وفى هذا المقام لابد من تفنيد ما زعمه بعض المؤرخين ورجال الدين المسيحيين وعن رأسهم ساويرس بن المقفع من أن المسلمين كانوا يخافون من تناقص ما يجبون من جزية ويخشون أن تضيق خزانة الأموال الحكومية من أعطيات الجند والعمال، فأرهبوا القبط بما فرضوا عليهم من مال، ثم أعلنت الخلافة الإسلامية في عهد مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢هـ / ٧٤٤ - ٧٥٠م) قرارها بإعفاء كل من يعتنق الإسلام من دفع الجزية فاعتنق أربعة وعشرون ألفاً من الأقباط الدين الإسلامي فراراً من قسوة الجزية (٣).

وهذا زعم مبعثه تعصبهم على الإسلام من ناحية واستكبارهم أن يعترفوا بأن الفاتحين المسلمين لم يرغبوا أحداً على اعتناق الإسلام من ناحية ثانية... وفى تعليلهم مغالطة تجافى الحق والواقع، فقد كانت الجزية يسيرة صغيرة لا

(١) المقرئزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ٢/ ٢٦١-٢٦٢، مطبعة بولاق القاهرة ١٨٥٣م.

(٢) المبرد : الكامل في اللغة والأدب، ج. ص ١١٢. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٦م؛ Jeffrey : op. cit., p. ٢٧٨

(٣) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير الآباء البطاركة. ١/ ١٧، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٩م.

إرهاق فيها، وأي إرهاق في أن يدفع الفرد الغنى في كل عام (٤٨) درهماً، والمتوسط (٢٤ درهماً) والفقير (١٢) درهماً، وكانت تؤدي على ثلاثة أقساط في العام، وكان يعفى منها العاجزون والشيوخ والنساء والصبيان (١)، وهذا قدر ضئيل بالقياس إلى ما احتمل القبط من غنت روم الغرب وجشعهم، ولقاء تعهد المسلمين للقبط بحمايتهم من الغزو وقيامهم بالشئون الإدارية وبالمرافق العامة... أما إسلام الكثير من القبط فلا ننكره، وإنما نرده إلى ضيقهم بسوء الحالة الدينية، وإلى اضطهاد الغرب لهم، يقول المؤرخ القبطي يوحنا النيقوسي: "إن المسيحيين الملكيين أسرعوا إلى الدخول في الإسلام، لأنهم كرهوا أن يدينوا في أحكامهم ونظم زواجهم وطلاقهم للكنيسة التي تعاديهم ويعادونها، ويشبه الطائفة الملكية أناس في حكمها كالطائفة النسطورية، والأريوسية، ومن يقول بالمشيئة الواحدة، ولا يقول بالطبيعة الواحدة كما يقول القبط، ولا بالطبيعتين على الذي يدين به الملكيون" (٢)... فالذين أسلموا من قبط مصر بعد الفتح الإسلامي إنما أسلموا طوعاً غير مكرهين على ترك مذهب أو نخلة وهم على رواية يوحنا النيقوس طائفة الملكيين ومن يشابهها من الطوائف التي لا تقول بالطبيعة الواحدة، ويضاف إليهم أناس من الذين فهموا انتصار المسلمين على الفرس والروم أنه آية إلهية، وبرهان من الله على صحة الدين الإسلامي وسلامة الدعوة، ويضاف إليهم كثير ممن هان عليهم دينهم في محنة الشقاق ومحنة الأخلاق، فلم يبالوا على أي دين أصبحوا بعد الشك والريبة، ثم فضلوا الدين الذي يعتنقه ولادة الأمر وحكام البلاد (٣).

دولة الروم والتبشير بالمسيحية :

يشيد نيكيتاس خونيئاتس إلى أن أقدم محاولة للغرب لتتصير المسلمين والقضاء على الدعوة الإسلامية كانت في عهد يزيد ابن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ /

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٦٩ ط ١، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٧٢ م.

(٢) John of Nikiu: the Chronicle P.M.G. Paris ١٨٦٥. p. ١٢٨-١٢٩.

(٣) Ibid : p. ١٣٠.

٦٨٠-٦٨٣م)، وقام بهذه المحاولة الأسقف كومت Cumot، وقد زودته الكنيسة بما يفيد ويساعده في تشويه صورة الإسلام، كما زودته بأموال وصلاحيات كثيرة^(١)، كما أن مقالات يوحنا الدمشقي وبولتماوس الرهاوي كانت من وسائل إعداد وتجهيز المبشرين ضد الإسلام فيما بعد القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)^(٢).

على أي حال كانت تلك الحملات التبشيرية تعمل بكل وسائلها لمحاربة الإسلام، وكان مجال هذه البعثات التبشيرية نشيطاً على الحدود بين الدولتين، وكان من وسائلها منح الهبات من الأموال، وتمليك الأرض الزراعية، والإعفاء من الضرائب، وتوفير المنازل للمتقصرين، وتسهيل زواجهم من نساء الغرب، فاستجابت أعداد من المسلمين الجدد الذين لم يؤمنوا عن اقتناع، ولم يحسن إسلامهم، ودخلوا في المسيحية فمنحوا الأرض والمال، وتزوجوا من نساء الغرب وأعفوا من نفع الضرائب^(٣).

أما عن محاولات الغرب في تنصير للأسرى المسلمين فقد اتبع الغرب أساليب لا إنسانية شديدة الوقع، ولنترك المصادر والمراجع تروى لنا ألواناً من صور الاضطهاد والتعذيب فيقول أحد الذين تنصروا: "أسرت فعذبت فدخلت في دينهم كرهاً"^(٤)؛ ويقول آخر "أخذت من بعض الطرق فعرض على طاعة الروم النصرانية فأبيت؛ فسلم عيني وسيرني إلى هذا الموضوع وبيعت إلى في كل يوم بحنطة فأطحنها له"^(٥).

١) Nicetas Choniates :Op. cit., Cois. ١٣٧-١٣٨.

٢) Damascene: op. cit., col. ١٢٢٢.

٣) Teall : The grain supply of The Byzantine Empire.p.١٣٠; Brehier: op. cit., p.٣٦٤; Diehl: Etude., p.١٢٠.

٤ (سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، مخطوط ، ج ٩، قسم ٢. ص ١٧٤ - ١٧٥، الهيئة العامة للكتاب القاهرة تاريخ.

٥ (المصدر السابق. ص ١٨٩.

ويقول أوستروجورسكى إن الغرب ممثلاً في إمبراطورية الروم كانت عنياً في اضطهاده الديني حتى للمسيحيين، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل اضطهادهم للمونوفيزيتيين في الشام ومصر وآسيا الصغرى (١)، واضطهادهم للبولسيين بين سنتي (٤٨ - ٧٩ هـ / ٦٦٨ - ٦٩٨ م) (٢)، وعبدية الأيقونات في القرن الثامن الميلادي (٣)، وكانت أنواع الاضطهاد هي قطع اللسان واليد وسمل العين والقتل (٤).

جهود الدولتين على نشر دينهما بين الشعوب الوثنية المجاورة:

لم تقتصر جهود الدولتين على نشر دينهما بين رعاياهما من أصحاب الدين المخالف لدين الدولة، بل تشير الدلائل إلى اصطدام الدعاة المسلمين والمبشرين المسيحيين عند الأمم الوثنية، ولعل ذلك كان أمراً طبيعياً بوصفهما أكبر قوتين روحيتين في العالم آنذاك.

وانطلاقاً من هذا الأساس، كانت الدولتان تراقبان التغيرات الدينية والروحية في الدول الوثنية المجاورة باهتمام شديد وعين مفتوحة، وخير مثال لذلك دولة الخزر حيث حاولت كلتا الدولتين أن توجه هذه التغيرات لصالحها، وكانت دولة الخزر قد عاشت منتعشة فترة طويلة من الزمن، وكانت تضم خليطاً من السكان يعود بأصوله إلى العديد من الشعوب خصوصاً شعوب وسط آسيا وشرقها، وكانت ديانة الخزر الأولى هي الديانة الشامانية **Shamanistic**، وهي الديانة الوثنية للقبائل التركية عموماً، وإلهمم الأكبر تتكرى خان (٥)، ومن خلال العلاقات بين الخزر والمسلمين والغرب ممثلاً في الروم تعلم الخزر أن عقيدتهم

١) Ostrogorsky : Byzantine State. ,pp. ١١٤-١١٥.

٢) Vasiliev :History of the Byzantine Empire. Tr.from the German.By.Hussy.J.M,London ١٩٥٦. pp. ٢١٦-٢١٧.

٣) Gero : op. cit.,p.١١١

٤) (أسد رستم : للروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وعلاقتهم بالعرب، ١/ ٢٨٦، ط١، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٥م.

٥) Dunlop: the History Of the jewish Kazars., Princeton : ١٩٥٤ .pp.٩-١٢

الشامانية عقيدة بدائية ومتخلفة، وقد عفى عليها الزمن إذا قورنت بالديانات السماوية ثم أن الشامانية عاجزة عن إضفاء الهيئة الشرعية والدينية على زعماء الخزر كما هو الحال عند الخلفاء المسلمين والأباطرة الروم المسيحيين، حيث ينعم بذلك الخليفة والإمبراطور^(١)، فأخذت دولة الخزر منذ أواخر القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) تفضل الديانة اليهودية، وتعمل على سيادتها بين الشعب الخزري، غير أن ذلك كان له رد فعل عنيف في إمبراطورية الروم، فعجل الإمبراطور جستنيان الثاني عام ٧٣هـ / ٦٩٢م بعقد مجمع ترولان **Trullan** الديني لمعالجة عدة قضايا منها اليهودية، ونجح هذا المجمع في إصدار بيانه باستئصال شأفة اليهودية^(٢). ويبدو أن ذلك كان له آثار إيجابية فعلية إذ تشير الدلائل إلى اعتناق اليهودية بين الخزر ظل مقصوراً على ملكهم وفئة قليلة من الطبقة العليا في الدولة دون أن تسود اليهودية بين الطبقات الأخرى.

وفي عام ١٠٠هـ / ٧١٨م أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز عدة رسائل وسفارات لملوك العجم ومن بينهم ملك الخزر يدعوهم إلى الإسلام، ولكنهم لم يستجيبوا لهذه الدعوة^(٣)، التي لم تكن الأولى إذ صح الرأي القائل بأن كل خليفة كان يبعث برسائل لدعوة ملوك العجم للإسلام.

وفي عام ١٠٢هـ / ٧٢٠م أصدر الإمبراطور ليو الثالث مرسوماً هاماً جرى بمقتضاه إجبار كل اليهود على التحول إلى المسيحية^(٤)، ويرى دونلوب **Dunlop** أن هذا الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في إمبراطورية الروم كان

١) Koestler: The Thirteenth tribe the Khazar Empire end its Heritag., Landon: ١٩٧٦. p. ٥٩

٢) Canstantine VII: de Administrando Imperio., P.G.M., Tome., CXIII, Paris: ١٨٩٧., cols. ٢٦١-٢٦٢.

٣) يعقوبي: تاريخ، يعقوبي ٤٥/٣، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠م.

٤) Cedrenus : op. cit., col. ٨٦٩.

سبباً في زيادة عدد الخزر الذين اعتنقوا الديانة اليهودية تعاطفاً مع أولئك اليهود الذين اضطهدهوا^(١).

وفي عام ١١٠هـ / ٧٢٨م كان أول لقاء عسكري بين المسلمين والخزر، وهزم المسلمون الخزر في معركة الطين^(٢)، ووصلوا إلى عاصمتهم البيضاء^(٣)، وينكر البلاذري أن ملك الخزر أبدى رغبته في اعتناق الإسلام، وأنه تلقى دروساً على يد عدد من فقهاء المسلمين، ولكن شعبه تحول إلى اليهودية^(٤).

هذا وقد كان للقائد مروان بن محمد في فترة ولايته على أرمينية دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية بين الخزر، وذلك عن طريق ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأول: هو تنشيط حركة التجارة بين الخزر وأرمينية الإسلامية، خاصة وقد كان معظم التجار متفقيين في الدين؛ الاتجاه الثاني: هو إرسال بعثات متتالية للدعوة الإسلامية بين الخزر؛ الاتجاه الثالث: إرسال حملات عسكرية إلى هذه الجبهة ليضمن بها تأمين التجارة والدعاة، وقد حقق مروان بن محمد نجاحاً كبيراً؛ فقد انتشر الإسلام بصورة سلمية بين الخزر في فترة ولايته على أرمينية^(٥).

وعلى هذا الأساس دخل بعض الخزر الدين الإسلامي. والسؤال هنا: ما هو موقف دولة الروم من ذلك النجاح الإسلامي؟

اتجه الإمبراطور ليو الثالث عام ١١٤هـ / ٧٣٢م إلى عقد حلف مع خاقان الخزر وأقام مصاهرة معه، فزوج ابنه قنسطنطين الخامس من أميرة خزرية أملاً في ضم الخزر دينياً لإمبراطورية الروم، وكانت الأميرة الخزرية التي زوجها ليو الثالث لابنه هي ابنة أو أخت الخاقان الخزري الذي هزم أمام المسلمين^(٦).

١) Dunlop: Dunlop: the History Of the jewish Kazars., Princeton : ١٩٥٤., p.١٧.

٢) معركة الطين : سميت بهذا الاسم لأن المسلمين سلكوا مواضع غرقت فيها دوابهم . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك . ٥٤/٧ ديار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م.

٣) Cedrenus : op. cit., col. ٨٦٩.

٤) (البلاذري : فتوح البلدان، ص ٢٤٥ ديار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٣م.

٥) Dunlop : op. cit., p. ٤٥.

٦) Hamartolus :op. cit ., col. ٩٣٧.

مما يدل على التنافس الشديد ومراقبة الوضع بين المسلمين والروم، فعندما علم ليو الثالث بأن خاقان الخزر يظهر إعجابه بالإسلام ويطمع في انتشاره بين الخزر، عجل بتقوية الفرصة على المسلمين بعقد هذه المصاهرة، فكانت أحد أسباب عدم توسع وانتشار الإسلام بين الخزر (١).

وفي عام ١٢٣هـ / ٧٤٠م قرر ملك الخزر أن يتخذ لدولته ديناً رسمياً، فأرسل إلى الدولة الإسلامية لترسل له فقهاء ليشرحوا له الدين الإسلامي، وفي نفس الوقت أرسل إلى الروم في طلب أساقفة لشرح الديانة المسيحية، ولم تتوان الدولتان في تلبية طلب خاقان الخزر، فأرسلت كل منهما خير من ينوب عنها في تنفيذ هذه المهمة، هذا بالإضافة إلى أحبار اليهود المقيمين في دولة الخزر (٢).

وعقدت مناظرة بين أصحاب الديانات الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية، وحاول كل منهم شرح ديانته بأبسط ما عنده للخاقان الخزري، وتذكر المصادر العربية بأن الفقيه المسلم قد دُس له السم في الطريق فمات (٣)، والمصادر العبرية ذكرت نجاح الحبر اليهودي في شرح اليهودية للملك الخزري الذي لم يقبل المسيحية لأنها ديانة معقدة لأنها تعتمد على أقوال غير منطقية مثل إنجاب الله من عذراء لحماً ودماً، ومع أنه ابن الله فهو أيضاً الأب، وأيضاً الروح القدس، وفي الوقت الذي يدين فيه المسيحيون بالثالوث يعتقدون أن هذا الثالوث شيء واحد. كما رفض الملك الخزري الديانة الإسلامية لأن إعجاز القرآن - في زعمه - يكمن في لغته، والإنسان الذي لا يعرف العربية لا يستطيع أن يتبين. بماذا يفضل القرآن على الكتب الأخرى. ودخل الملك الخزري في الديانة اليهودية لأنه اقتنع بأنها هي الأساس والمنبع الذي تولدت عنه الديانات

١) Koestler: The Thirteenth tribe the Khazar Empire end its Heritag., Landon:., p.٥٩

٢) البكري: الممالك والممالك، تحقيق د / علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م. ص ٤٤. يهوذا هاليقي: خوزري هو قسأت أورعيم هسروت مهخيورت للمود قلقرياه ١٩٧٨؛ ١١-١٧ pp.

٣) البكري: المسالك والممالك، ص ٤٤. دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م.

الأخرى مثل المسيحية والإسلام^(١). والسؤال هنا : هل لباقية الحبر اليهودي هي فعلاً وراء تهود الخزر ؟ وبمعنى آخر : لماذا لم يستجب الملك الخزري لأي من الديانتين المسيحية والإسلام ؟

كان تحول شعب الخزر من الوثنية إلى اليهودية حادثاً أثار دهشة وتخمينات المؤرخين المشتغلين بالخزر، ولا يمكن أن يعد هذا الأمر حادثاً عارضاً، وإنما يعد دليلاً على سياسة مستقلة اتبعتها دولة الخزر. فيرى بيورى **Bury** أن تهود الخزر جاء على أساس حرص الخزر على الاستقلال عن القوتين العظميين المسلمين والروم، وهما يمثلان الإسلام والمسيحية لذلك اختاروا الديانة الثالثة وهي اليهودية^(٢)؛ ويرى ديورانت أن الخزر باعترافهم اليهودية فضلوا في أكبر الظن أن يغضبوا الدولتين الإسلامية وإمبراطورية الروم في وقت واحد بدلاً من أن يغضبوا واحدة منهم غضباً يعرضهم للخطر^(٣)، ويرى كويستلر **Koestler** أن اعتناق الخزر لليهودية واتخاذها ديانة رسمية لدولتهم دون المسيحية والإسلام، يرجع إلى أن ملك الخزر أراد أن يكون له هيبة دينية مثل الخليفة المسلم وإمبراطور الروم، ولذلك فضل اعتناق ديانة غير المسيحية والإسلام وهي اليهودية^(٤)، وهي ديانة لا سند لها من أي من القوتين العظميين المسلمين والروم، بل كانت موضع رفض من الجميع تقريباً.

نستخلص مما سبق أن كلاً من الدعاة المسلمين والمبشرين المسيحيين كانوا يحاولون دائماً تبسيط ديانتيهما، وقد شعر رجال الدين المسيحي بواجب الدفاع عن دينهم حيال الدين الإسلامي الذي أفقد المسيحية مكانتها الأولى.

(١) يهوذا هاليفي : مخوزى ، ص ١٤-١٧.

(٢) Bury : the Imperial Administrative system in Ninth Century., London., p. ٢٠٦.

(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، عصر الإيمان مج ٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٢٠١.

(٤) Koestler : op. cit., p. ٥٩٠.

المبحث الثالث

الجدل الديني

رأى رجال الدين أن الوقت قد حان لكي يختفي الجدل اللاهوتي بينهم وأن عليهم أن يتجهوا إلى الدفاع عن المسيحية ضد الديانة الإسلامية التي تنتهك عقائدها الأسرار المقدسة المسيحية في رأيهم. فظهر الجدل الديني بين المسلمين والمسيحيين. وقد شجع على ذلك التسامح الديني الإسلامي، فاتصل المسلمون برجال الدين الروم الذين أتعنوا فن المناقشات الدينية، وأوضح الأمثلة للجدل الديني بين الطرفين نجدها في الأدب الدفاعي أو الهجومي والمراسلات التي دارت بين الخلفاء والأباطرة.

ويعود الجدل الديني بين المسلمين والمسيحيين إلى سنوات الفتح الأولى، ففي عام ٢٣هـ / ٦٤٣م جرت محاورة بين فاتح مصر عمرو بن العاص، وبنيامين بطريرك الإسكندرية، وفي عام ٢٤هـ / ٦٤٤م تناقش سعيد بن عامر مع يوحنا الأول بطريرك أنطاكية^(١)، وارتبطت المناقشات الشفهية بتأليف كتب دفاعية، فكتب أنثاسيوس البطريرك اليعقوبي (٦٥ - ٦٨هـ / ٦٨٤ - ٦٨٧م) مقالاً حول العلاقة بين المسلمين والمسيحيين؛ وألف إبراهيم البيهقي مقالاً دفاعياً سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م على شكل مناقشة بين مسلم ومسيحي؛ فقد صنف بطرس أسقف دمشق مقالاً ضاع فيما بعد وفاته اهتم فيه بالدفاع عن المسيحية ضد الإسلام^(٢)؛ وبدا برتلمائوس الرهاوي ملماً كل الإمام بالإسلام في مؤلفه "رده على هاجري"، ومؤلف "ضد محمد"، وقد فند اعتراضات المسلمين على المسيحية لاسيما ضد التثليث والتجسد والصليب^(٣)، ولقد أسهم يوحنا الدمشقي بدور كبير في الدفاع عن المسيحية خاصة لأنه عاش في الأوساط الإسلامية واطلع على العقيدة الإسلامية، وعلى اعتراضات المسلمين على الدين المسيحي. ويشكل

١) Lammens : Etudes Sur l siecle De Umayyades., Beyrout : ١٩٣٠., pp. ١٣-٢٥ .

٢) Nasrallah.J : Saint Jean de Damas, p.١٩٠- ١٩١.

٣) Barthomaei Edesseni : Contra Muhamed.P.G.M.Tome.XCIV.Paris ١٨٦٠, Cols . ١٤٥٢-١٤٥٣.

الفصل رقم (١٠١) من كتاب الهرطقات تفنيدياً موجزاً للعقيدة الإسلامية وقد حفظ لنا ثيودور أبو قرة (ت ٢٠٥هـ / ٨٢٠م) — علاوة على هذا التفنيدي — خلاصة مناقشة على شكل حوار بين مسلم ومسيحي التقطها عن دروس يوحنا الدمشقي بعض تلاميذه... وعن حوار آخر مع مسلم لم يكتبه يوحنا الدمشقي مباشرة، ولم يعد النظر فيه، هو خلاصة دروس عربية^(١)، كما أن بعض الفصول في ينبوع المعرفة على نحو (الإله الواحد، والتثليث، والتجسد)، وبعض المقالات عن العلم الإلهي المسبق، وقضاء الله الأبدي وعنايته، كل هذا دفاع مباشر عن المسيحية ضد الإسلام.

ومما يقوله يوحنا الدمشقي في بعض حواراته المنقولة: "إذا سألك مسلم: ماذا تقول في المسيح؟ قل له: كلمة الله، ولا تظن أنك مخطئ، لأنه كلمة الله كما جاء في كتابهم، ويد الله وقوته، وأفعال كثيرة...، وبدورك اسأله ماذا يقول كتابكم عن المسيح؟ عندئذ ربما يريد هو أن يسألك عن أمر ما رغبة منه في أن يهرب من سؤالك، أما أنت فلا تجبه إلى أن يجيبك هو عن سؤالك، لأنه مضطر أن يجيبك قائلاً: كتابنا يقول: إنه روح الله وكلمته. وعندئذ اسأله: الكلمة في كتابكم مخلوقة أم غير مخلوقة، فإذا أجاب غير مخلوقة، قل له: إن أنت متفق معي لأنه كل ما ليس مخلوقاً فهو الله... " (٢).

أما عن نصوص الجدل الديني التي نجدها في المراسلات التي دارت بين الخلفاء المسلمين وأباطرة الروم فإنها تعكس لنا الروح السائدة — مهما يكن حظ هذه النصوص من الثبوت — وقد جاءت نصوص هذه المراسلات الجدلية في المصادر العربية واليونانية واللاتينية.

أما عن المصادر العربية فقد نقل ابن قتيبة الدينوري عن ابن عباس قوله: "كتب قيصر إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومن أكرم عباده إليه، وأكرم إمامه... فلما قرأ معاوية

١) Nasrallah.J : op. cit., p.١٩١.

٢) Daniasceni : De Haeresibus ., Cols ٥٠٩- ٥١٩.

كتابه قال: اللهم العنه! ما أدرى ما هذا، فأرسل إلى ابن عباس يسأله فقال له ابن عباس: أما أحب كلمة إلى الله فلا إله إلا الله — والثانية سبحان الله — والثالثة الحمد لله — والرابعة الله أكبر — والخامسة لا حول ولا قوة إلا بالله — أما أكرم عباد الله إليه فآدم — وأكرم إمانه عليه مريم" (١)؛ وأورد المبرد نصاً لجبل من هذا القبيل بين معاوية وقنسطانز الثاني الذي أرسل إلى معاوية: "بقارورة فقال: ابعث لي فيها من كل شيء، فبعث إلى ابن عباس، وقال: لتملاً له ماء، فلما ورد بها على ملك الروم قال: لله أبوه! ما أدهاه! فقبل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ قال: لقول الله عز وجل: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (٢).

أما عن المصادر اليونانية واللاتينية، فجاء فيها نص للمراسلات الجدلانية التي دارت بين الخليفة عمر بن عبد العزيز، والإمبراطور ليو الثالث الذي أجاب فيها عن أسئلة الخليفة؛ وعلى سبيل المثال: "...تسأل كيف أمكن الله أن يدخل أحشاء مظلمة وضيقة ونتنة في فرج امرأة؟ وإن شئت أن تفهم فالإيك هذا التشبيه: ألا ترى الشمس تنتشر على النجاسة والسيخ والدمن، ومع ذلك فهي لا تنتجس بل تطهر كل شيء، فأحرى بالله الذي خلق الشمس ألا ينجسه مخلوق، فلا تنكر دخول الله في أحشاء البتول مريم" (٣).

وأورد المبرد نص رسالة عمر بن عبد العزيز إلى ليو الثالث، فبعض ما جاء فيها: "...فقال له ليو: يا عبد الله ما تقول في المسيح؛ فقال: روح الله وكلمته؛ فقال: أيقون ولد من غير فعل فقال عبد الله: في هذا نظر، فقال أي نظر في هذا إما نعم وإما لا، فقال عبد الله: آدم خلقه الله من تراب، فقال: إن هذا خرج من رحم" (٤).

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١/ ١٩٩-٢٠٠ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م.

(٢) المبرد: المصدر السابق، ٢/ ١١٥؛ والآية من سورة الأنبياء آية رقم (٣٠).

(٣) Ghevond: op. cit., pp. ٩٠-٩٣; Jeffrey: op. cit., pp. ٣١٧-٣٢٤.

(٤) المبرد: المصدر السابق، ٢/ ١١١-١١٢.

ولهذا النص أهمية كبيرة هي أن تاريخ تدوين المصدر الذي ورد فيه يرجع إلى أوائل العصر التتويني ، كما أن هذا المصدر هو المصدر العربي الوحيد الذي تحت أيدينا، الذي يروى لنا نص الرسالة الجدلية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز مع عبد الله ابن عبد الأعلى إلى ليو الثالث، ويصور لنا هذا النص طبيعة الجدل الذي دار بين عبد الله بن عبد الأعلى والإمبراطور ليو الثالث، ويؤكد هذا النص مجانية الصواب لما ذكره جيفري Jeffery من أنه لا يوجد نص عربي للمراسلات بين الخليفة عمر بن عبد العزيز والإمبراطور ليو الثالث (١).

ويرى فيليب حتى أن الخليفة عمر بن عبد العزيز حاول من خلال هذه المناقشات أن يحمل الإمبراطور ليو الثالث على اعتناق الإسلام بسهولة، ولكن جاء رد ليو الثالث برسالة نقض فيها ما اشتملت عليه رسالة عمر (٢)؛ ويرى جيفري نقلاً عن المؤرخين الأرمنيين كيراكوس الجندزافي Kirokos of Grandzaci ، وفارتان الكبير Vartan le Grand أن رد ليو الثالث على رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كان قوياً شديداً التأثير والنكاه مما أخجل الخليفة عمر ابن عبد العزيز. كما ادعى المؤرخان أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أبدى روح حب الخير والرحمة تجاه الرعايا المسيحيين في دولته (٣).

ويبدو أن الآراء السابقة بها مغالطات كبيرة، فكيف يؤثر رجل كافر محروم من رحمة الكنيسة بحسب شهادة ثيوفانيس (٤). في رأى عمر بن عبد العزيز الذي قال عنه ليو الثالث: " لو علمت أن أحداً بعد المسيح يحيى الموتى لكان عمر" (٥). إذ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان متديناً وورعاً، وكان يفهم دينه فهماً

١) Jeffery : op. cit., p٢٧٢.

٢ (فيليب حتى : تاريخ سوريا ، ٢ / ١٤١.

٣) Jeffery : op . cit., p.٢٧٠.

٤) Theophanes : op. cit., col . ٨٢١.

٥ (سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، مخطوط، قسم ٢ ، ج ٩، لوحة ١٨٩.

صحيحاً، وقد نجح في غرس هذا المفهوم في أهل بيته وولده، وطبقه في رعيته، وكان يعامل أهل الذمة معاملة حسنة نابعة من تدينه^(١).

المبحث الرابع

موقف المسلمين والروم تجاه اتهامات اليهود لديانتيهما

لم يكن الجدل الديني محصوراً بين المسلمين والمسيحيين فقط، بل واجهه الطرفان جدلاً دينياً آخر وجه لديانتيهما ونقصد به اتهامات اليهود داخل وخارج نطاق الدولتين، وقد اتهم اليهود الإسلام والمسيحية بأنهما ضرب من الوثنية، وأن شرائع كل منهما تعتمد على التوراة وأسفار بنى إسرائيل، ورغم اعتماد التشريع الإسلامي والتشريع المسيحي على التوراة وأسفار بنى إسرائيل فإنهما مخالفان للشرعية الموسوية؛ فالمسيحيون قد أحلو فيما أحلوا من محرمات التوراة لحم الخنزير^(٢)، والمسلمون مارسوا الختان ذكوراً وإناثاً دون أن يتقيدوا بشرعية موسى التي تقضى بأن يتم الختان في اليوم الثامن، لكن المسلمين يختنون في أي سن كانت^(٣).

غير أن تلك الاتهامات كان لها رد فعل عنيف في الأوساط الإسلامية والرومية، فعجل الإمبراطور جستنيان الثاني سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م بعقد مجمع نرولان -سابق الذكر- لمعالجة قضية استفحال خطر اليهودية، ونجح هذا المجمع في إصدار بيانه الداعي إلى استئصال شأفة الانحراف اليهودي^(٤)، وقد أصدر الإمبراطور ليو الثالث مرسوماً هاماً في سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤م تقريباً جرى بمقتضاه إجبار كل اليهود على التحول إلى المسيحية^(٥).

(١) فلهوزن : المرجع السابق ، ص ٢٨٩.

(٢) Bardy : Les Trophées de Damas Controverse Judes Chretienne du., ville p.o., ١٥، ١٩٢٧..pp-١٧٤-١٧٨

(٣) Ibid : pp.١١٣-١١٧

(٤) Theophanes :op. cit., cols., ٧٩٩-٨٠٠.

(٥) Cedrenus: op. cit., cols.٨٦٩.

وفى عام ١٢٣هـ / ٧٤٠م عقدت في دولة الخزر مناظرة دينية بين أصحاب الديانات الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية^(١)، وورد نص هذه المناظرة في مصدرين عربي وعبري ، وهذه النصوص مثال واضح على الجدل الديني الذي خاضه الفقهاء المسلمون ورجال الدين المسيحي ضد الأتباع اليهود. أما النص العربي فهو يتحدث عن ملك الخزر الذي أراد أن يستمع إلى وجهات نظر الأديان الثلاث: في موسى وعيسى ومحمد — عليهم السلام جميعاً — فيروى البكري أن الملك الخزري: أرسل إلى النصارى في طلب أسقف^(٢)، وكان عنده رجل من اليهود ذو جدال فناظره ، قال له : ما تقول في موسى بن عمران والتوراة المنزلة عليه؛ قال له : موسى والتوراة حق، فقال اليهودي للملك ، قد أقر بحقيقة ما أنا عليه فسله عما يعتقد، فسأله الملك : فقال له : أقول : إن المسيح عيسى بن مريم هو كلمة الله وأنه المبين عند الله عز وجل بالسرائر، فقال اليهودي لملك الخزر : أنه يدعى دعوى لا أعلمها ، وهو مقر بما عندي ، فلم يكن مع الأسقف كبير حجة ، وأرسل إلى المسلمين فأرسلوا إليه رجلاً عالماً عارفاً بالجدل فدرس عليه اليهودي من سمه في الطريق فمات ، واستمال اليهودي الملك إلى ملته فتهود^(٣).

أما النص العبري فبعض ما جاء فيه هو: "... ذكر الأسقف المسيحي أن المسيحيين يعتقدون بكل ما جاءت به توراة موسى وكتب بني إسرائيل، وأن كل ما أتى عنهم حقيقة. والاختلاف بين اليهود والمسيحيين يبدأ مع يسوع المسيح، وكانت تسميته الرب قبل معرفتهم ليسوع، وقد ولد يسوع لإحدى عذارى اليهود ففي الظاهر اتخذ يسوع صورة بشرية ولكن أصبح برغبته هو الرب، أي في البداية ظهر كنبي وفي السر كان هو المسيح، الذي تطلع إليه اليهود، وهو ابن الله، وقد أصبح الأب والابن والروح القدس شيئاً واحداً، وبمعنى آخر أوضح يعد

١) Koestler : op. cit., p.٧٩.

٢) الأسقف : لقب ديني لرجال الدين المسيحيين ، فوق القسيس ودون المطران. المعجم الوجيز ص١٧.

٣) البكري : للممالك والممالك، ص٤٤.

ثالثاً، ولكن ماهيته توحيد إلهي... أنكر الفقيه المسلم على الأسقف المسيحي إمكانية تجسد الله في يسوع، وأوضح أن المسلمين يعتقدون أن الله كتب قرآنهم قبل خلق العالم وأن القرآن يشهد على حقيقته فلا يستطيع بنو البشر أن يأتوا بمثله بل ولا بآية من آياته، ونبههم محمد هو آخر الأنبياء، وقد جاء بأمر إلهي لكي يلغي كل الشرائع التي سبقتها، ويدعو كل الشعوب إلى الإسلام... وألقى الحبر اليهودي محاضرتة فقال إن الله أعلى الأعالي ومصدر كل الأفعال في تطور الخلائق، وأن كل مخلوق من هذه الخلائق جاء من مخلوق سابق له، وأن العالم مر بتطور تدريجي... وهكذا فإن الأسباب والنتائج مرتبطة بالأخرى، ونحن نؤمن بالله إبراهيم وإسحق ويعقوب الذي أخرج أنبياء بني إسرائيل، وأن الأسقف المسيحي في محاضرتة والفقيه المسلم في خطبته افتتحا أقوالهما على أسس الديانات التوحيدية، وليس في هذه القضية فرق جوهري بين دين بني إسرائيل الذي يقوم على أساس وقائع تاريخية صادقة ومعروفة في العالم منذ أن حدثت حتى اليوم فلا يوجد أحد حاول أن ينكرها^(١). وفي النهاية رفض ملك الخزر المسيحية والإسلام وقبل أن يعتنق اليهودية.

ويبدو أن يهوذا هاليفي اتخذ من اعتناق ملك الخزر لليهودية أساساً لنصرة دينه فغلف كتابه بهذه القصة التاريخية الواقعية حتى يكون تأثير كتابه بعيداً، وزعم أن اليهودية خير الأديان، وأن ملك الخزر تهود عن اقتناع تام بالدين اليهودي، ذلك الدين الوسيط بين الخالق والبشر، ومما لاشك فيه أن يهوذا هاليفي نجح إلى حد بعيد في توضيح المسيحية وتعاليمها واعتمادها على كثير من تعاليم اليهودية، ولا تعارضها إلا في فكرة الإله، كما ركز على أن فكرة التثليث تلاقى خلافاً كبيراً. وعلى الرغم من أن يهوذا هاليفي كما هو واضح لنا كان عالماً متمكناً من معرفة الديانة المسيحية والفلسفة اليونانية القديمة، فإنه في حوارهِ الخاص بالدين الإسلامي كان خبيثاً مأكراً حيث أظهر الإسلام خالياً من المعجزات، اللهم إلا القرآن الكريم المكتوب باللغة العربية، ومن ثم لا يستطيع

(١) يهوذا هاليفي : مخزوري، ص ١٣-١٧.

أحد غير عربي أن يدرك إعجاز معانيه. كما يبدو أيضاً أن رسالة يهوذا هالي في عبارة عن نقد موجه للديانتين المسيحية والإسلام، كما أنها تتفق مع المناظرة التي أوردتها المصدر العربي (البكري)، والاختلاف في أن البكري ذكر أن الفقيه المسلم قد دُس له السم فمات.

وننتهي من موضوع الجدل الديني بين المسلمين والمسيحيين ، ثم بين هذين الفريقين وبين اليهود إلى أن هذا الجدل حدث عندما شعر كل منهم بحاجته إلى الدفاع عن دينه ضد الاتهامات التي وجهها إليه الطرف الآخر ، وكان المجال جديداً على الفقهاء المسلمين الذين أثبتوا أنهم كانوا نداءً قوياً لرجال الدين المسيحيين وأحبار اليهود ، وهم جميعاً برعوا في هذا المجال من قبل خلال نقاشهم الطويل حول المسائل اللاهوتية.

المبحث الخامس

التأثير الفكري الديني المتبادل بين الإسلام والغرب

أما بالنسبة للمسلمين فإن أهم ما تأثروا به من الروم هو إتقانهم لفن الجدل الديني بعد أن دعتهم الحاجة إلى الدفاع عن دينهم إلى إتقانهم لهذا الأسلوب الذي يعتمد على المنطق في الحوار (١) . كما أن الحركة الجدلية التي كان يوحنا الدمشقي رائدها، كان لها تأثيرها على الفكر الجدلي الإسلامي، حيث إن يوحنا الدمشقي شرح في جلسة له مع المسلمين الحجج والبراهين التي تسليح بها القديرون (٢)، وبذلك ربما يكون يوحنا الدمشقي أثر في أقدم جدل ديني قام في ظل الإسلام (٣) ، وقد ذكر ابن العبري أن معاوية ابن يزيد صديق يوحنا الدمشقي كان قديراً (٤). وقد عدت القدرية حركة تمرد على السلطة التي تهدد

(١) جواد علي : يوحنا الدمشقي ، الرسالة ، بغداد : ١٩٤٥ ، ص ٣١٦.

(٢) القديرون : نسبة لفرقة القدرية التي تكونت حول الحسن البصري وهو بالبصرة ، وعرفت بالقدرية لأن القدر كان هو محور نقاشهم. أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ١ / ٣٤١-٣٤٢ ط ١٤ ، مكتبة النهضة الإسلامية ١٩٧٨ م.

(٣) Nasrallah .J: op. cit., p. ١١٧.

(٤) ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٩٨.

أمن الدولة الإسلامية، فاضطهد الخليفة هشام بن عبد الملك أعضائها وأعدم زعيمها (غيلان الدمشقي)، وكان يوحنا الدمشقي قد غادر آنذ دمشق إلى دير القديس سابا، وكان يتابع أخبار القدرية الذين تأثر بعضهم بفكره. ويقرر جوزيف نصر الله أن "البحث الذي كتبه الدمشقي في دير القديس سابا عن الإسلام على شكل حوار لم يكن سوى صدى لتلك المناقشات التي أدارها يوحنا الدمشقي مع ضيوفه المسلمين المجتمعين في قصره ببستان القط"(١).

ويبدو أن يوحنا الدمشقي كان يقصد من وراء زجه بالمسلمين في المشاكل الجدلية العقيمة، وتتبعه لأخبار فرقة القدرية ومحاولاته التأثير عليهم بأرائه وأفكاره إلى إثارة الفتن والقلق داخل الدولة الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك لا يجد من يفكر من المسيحيين في الدخول في الإسلام أن هناك فارقاً بين المسيحية والإسلام فكلاهما يعج بالمشاكل الكلامية العقيمة التي لا يستسيغها العوام من المسيحيين وبذلك يحول بينهم وبين الإسلام، وفي ذلك يقول الدكتور جواد علي: "لم تنفع هذه الحملة الصليبية التي أثارها هذا الموظف المسيحي - يوحنا الدمشقي - في بلاط أمير المؤمنين في الشام شيئاً، قد يكون يوحنا نجح بعض الشيء في إثارة جذوة نار تلك المشاكل الكلامية التي ظهرت قبله بزمن وفي صلبها في جداله مع المسلمين بقالب منطقي يوناني أثر في أسلوب الكلام عند المسلمين، ولكنه فشل في الحيلولة بين المسيحيين السوريين والإسلام"(٢).

أما عن التأثير الإسلامي في المسيحية، فهو أمر متعدد الجوانب ويمكن حصره في الآتي:

١- التأثير الإسلامي الكنيسة الرومانية:

بخضوع البطريركيات الشرقية -أنطاكية، وبيت المقدس، والإسكندرية- للمسلمين تبوأ القسطنطينية مركزاً مرموقاً باعتبارها ملتقى أنظار الكنائس الشرقية، ورسمت لنفسها سياسة تتجنب بها أي تحد جديد قد يعيد إلى ذاكراتها

١) Nasrallah .J : op .cit., p. ١١٨.

٢) جواد علي : يوحنا الدمشقي ، ص ٣٠٨ ، مجلة الرسالة ، بغداد ١٩٤٥م.

الأيام العظيمة للإسكندرية في القرن الخامس الميلادي، حيث احتلت كنيسة الإسكندرية مقعد الصدارة بين كنائس إمبراطورية الروم^(١).

كما أنه بانفصال هذه الكنائس وتلك الولايات - بشقاقها العنيد وخلافاتها الشديدة في أمور العقيدة- عن إمبراطورية الروم، خفت حدة الخلافات الدينية التي كانت تنتقل منها إلى باقي أجزاء الإمبراطورية. وقد دلت قرارات المجمع المسكوني الذي عقد في عام ٦١١ هـ / ٦٨٠ م، على أن إمبراطورية الروم تخلت عن فكرة تسوية النزاع الديني في أقاليم لم تعد خاضعة لها، ومعنى ذلك أيضاً الحد من سلطة كنيسة آيا صوفيا^(٢).

كما أدى فقدان إمبراطورية الروم لولاياتها الشرقية بشقاقها المذهبي العنيد، وهرطقتها المستمرة إلى فتح الطريق أمام إيجاد نوع من التعايش السلمي المذهبي المؤقت **Modus Vivendi** بين القسطنطينية وروما^(٣).

وبدخول الكنائس الشرقية في حوزة المسلمين تمتعت بتسامحهم فوجد رجال الدين في الكنائس الشامية والمصرية الفرصة سانحة لهم لترويج أرائهم الدينية التي تعد في نظر رجال الدين في الكنيسة آيا صوفيا بدعاً فضعت بذلك قوة الكنيسة وتضعضع كيانها^(٤).

٢- التأثير الإسلامي على مذهب البوليسيين:

كما كان للإسلام تأثيره الواضح على مذهب البوليسيين **Poulicians** الذي أنكر فكرة الثالوث المقدس، وآمن أصحابه بالتوحيد المجرد الخالص، وآمنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء - عليهم السلام جميعاً - وأن الله خلقه

١) Vasiliev : Byzantine Empire ., pp. ٩٥-٩٩.

٢) Ostrogorsky : Byzantine State ., p. ١١٠.

٣) ج.م.هسي : العالم البيزنطي، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور رافت عبد الحميد ص ١٢٤-١٢٥، ط ٣، دار الثقافة والنشر، القاهرة ١٩٨٥ م.

٤) Ostrogorsky : op. cit., pp. ١١٠-١١٥.

في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، وأنكروا فكرة الثالوث المقدس — كما ذكرنا — ومن ثم أنكروا فكرة الصليب وكل الأيقونات^(١).

ومن خلال نظرة سريعة إلى نشأة هذا المذهب نجد أنه نشأ مع الفتح الإسلامي للشام في الثلاثينيات من القرن السابع الميلادي، ومؤسس هذا المذهب هو قنسطنطين **Constantine** أسقف ماناناليس **Mananalis** وقد أنشأ جماعته بالقرب من مدينة سمساط^(٢) على حدود دولة الروم مع الدولة الإسلامية وإعجابه بالرسول بولس جعله يختار اسمه لقباً روحياً لجماعته، وعلى هذا الأساس فقد كان للتوافق الزمني والتقارب المكاني والاتصال الدائم بالمسلمين حول سمساط وأنطاكية دور واضح في تأثر البوليسيين بالعقيدة الإسلامية^(٣).

ولعل رفض عبادة الأيقونات والتقارب في عقيدة التوحيد بين المسلمين والبوليسيين جعل أواصر العلاقة الودية تزداد قوة بينهما، فكانت بلاد الخلافة الإسلامية هي الملاذ والمأوى ومصدر الأمن ورغد العيش للبوليسيين، عندما تعرضوا لاضطهاد أباطرة الروم بين عامي (٤٨ — ٧٩ هـ / ٦٦٨ — ٦٩٨ م) وذلك حين أرسلت حملات من قبل قنسطنطين الثالث وجستينيان الثاني ضد البوليسيين وراح ضحيتها سلفانوس **Silvanus** الذي رجم بالحجارة حتى الموت، وكذلك خليفته سيميون نيتوس **Simeons Titus** الذي أحرق حياً^(٤).

(١) ابن البطريق : التاريخ المجموع علي التحقيق والتصديق ، بيروت (مطبعة الأباء اليسوعيين) ١٩٠٥، ص ١١٧.

(٢) سمساط : مدينة قديمة تقع علي الشاطئ الأيمن لنهر الفرات ، وكانت مركزاً للاتصال مع الشرق ، وهي الآن المدينة التركية:

Samsat Stratos Stratos: Byzantin in the Seventh Century, Vol I , Trans. by Marco Ogilive, Crant , Amesterdam: ١٩٦٨, p. ٤٠٨.

(٣) سيد أحمد الناصري : اتباع بولس السمساطي تأثرهم بالإسلام وتأثرهم في الغرب الأوروبي ، مؤتمر المسلمون في أوربا ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، قسم التاريخ ، إبريل ١٩٩١ ، لم ينشر بعد، ص ٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢-١١.

٣- التأثير الإسلامي في الحركة الأيقونية:

كما كان للإسلام أثره الواضح في الحركة الأيقونية في دولة الروم وهو أمر متعدد الجوانب: فقد كانت تتدفق من فلسطين الآثار المقدسة مثل قطعة من الصليب المقدس الذي يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه، ومنديل فيرونيكا المطبوع عليه صورة المسيح، تلك الصورة التي لم ترسمها يد إنسان، بالإضافة إلى رداء ونطاق مريم العذراء، وعصا موسى، ورفات ومقتنيات القديسين والشهداء التي جلبها معهم الحجاج الروم من بيت المقدس شكل (٤٩). ونتيجة لكثرة توافد هذه الآثار المقدسة من فلسطين إلى القسطنطينية أمر جستنيان الأول بحفظ هذه الآثار في بعض الكنائس في دولة الروم مثل كنيسة (مريم البلاخرنية Blachernae)^(١)، وكان ذلك عاملاً كبيراً شجع على التقليد، كما شجع ذلك على زيارة الأضرحة الإقليمية وبيوت الشهداء، وكذلك الأديرة التي تعرض فيها هذه الآثار، ولكن تتدفق هذه الآثار توقف بعد الفتح الإسلامي لفلسطين وأصبح من الصعب على الحجاج الروم أن يسافروا عبر أراضي الدولة الإسلامية إلى فلسطين، ومن ثم استغل صناع الأيقونات من الرهبان الروم الفرصة ليقوموا برسم أيقونات للرسل والقديسين لتحل محل هذه الآثار الأصلية التي كانت تأتي من فلسطين وبيعها للناس، وفي وسط هذا المناخ الديني نمت العقيدة المتشربة بحب الخيال والخرافات، وعلت مكانة رجال الدين أحيانهم وأمواتهم، وقصد الناس خلواتهم ومعتكفاتهم بل وأضرحتهم يلتمسون البركات وقضاء الحاجات، وليعودوا بأثر من آثارهم أو بصورة لهم، ليكون ذلك الأثر الملاك الحارس والأب الروحي لأطفالهم. وسرت شائعات حول أيقونات تكلمت، وأخرى

(١) مريم البلاخرنية: نسبة إلى بلاخرناي في أقصى الشمال الغربي من القسطنطينية، وأشهرها ما فيها تلك الكنيسة بالإضافة إلى قصر كبير.

Procopius: Procopius: The Anecdota or the secret History., Trans. By .H.B. Dewing., Great Britan : ١٩٥٤., p. ١٤٩

تحركت، وأخرى تشفى وتمرض^(١)، واعتقد العامة والدهماء من الروم أن القطع الأثرية المقدسة الأولى — سابقة الذكر — مثل رداء العذراء ونطاقها كفيّلة بحماية القسطنطينية من الأخطار، ومن ثم لجأوا إلى حمل مثل هذه القطع الأيقونية وطافوا بها حول أسوار العاصمة كلما هدها المسلمون عندما حاصرو القسطنطينية، واعتقدوا أنها كانت من أهم الأسباب في فشل المسلمين في فتحها^(٢). ولقد كان في مصلحة رجال الدين تدعيم وتغذية هذا الخيال والاعتقاد حتى يجنوا من صناعتها وبيعها الربح الوفير، معللين ذلك بأن هذه الأيقونات ما هي إلا وسيلة إيضاح لتعليم البسطاء من العامة لأنهم لا يقدرّون على فهم الكتاب المقدس، ولا يستطيعون إدراك واستيعاب قوانين الإيمان المسيحي الفلسفي كما أنها تخاطب العاطفة وحاسة البصر. كما تخاطب آيات الكتاب المقدس العقل وحاسة السمع، فيقول يوحنا المشقي: "فإن لم تعبد الأيقونة فقد كفرت بآبنا الله ولم تعبده، فهو نفسه الأيقونة المحسوسة للرب الذي لا يراه أحد"^(٣). وقد لفت هذا التدهور في العقيدة المسيحية انتباه الكثير من المسيحيين المؤمنين، فأظهروا سخطهم على هذه البدعة منذ وقت مبكر^(٤).

لم يقف التأثير الإسلامي في الحركة الأيقونية في دولة الروم عند هذا الحد، بل أشعل المسلمون نار الحرب على الأيقونات من جديد، ولم يحدث هذا الأمر بين عشية وضحاها؛ فمنذ بداية الفتوح الإسلامية للشام ومصر، وحتى صدور قرار الخليفة يزيد بن عبد الملك بتحطيم الأيقونات في الدولة الإسلامية عام

(١) إبراهيم علي طرخان: الحركة اللا أيقونية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦، ص ٣-٥.

(٢) Theophanes: op. cit., col. ٨١٧.

(٣) Damascenus . J : De Imaginibus Artianes, ed . migne P.G. Tome. xciv., Paris ١٩٦٠., cols., ١٣١٧-١٣١٨.

(٤) عقد في أسبانيا في القرن الرابع الميلادي في مدينة إيليريا Elvira مؤتمر ديني أعلن فيه أن عبادة صور القديسين عبادة وثنية . كما مزق إيفانيوس القبرصي ستارة كنيسة مرسوم عليها صورة المسيح وأحد القديسين لأنها تنسب الكنيسة.

١٠٤هـ / ٧٢٣م. وكان هناك احتكاك لا أيقونى بين المسلمين والروم، فقد استنكر المسلمون هذا الأمر عند حروب الفتح الأولى بعد رؤيتهم للمسيحيين وهم يتوجهون لهذه الأيقونات بالعبادة. وقد أخذ الاستنكار والرفض يزداد قوة حتى بلغ ذروته إبان العصر الأموي. فقد أعلن القرآن الكريم والحديث الشريف رفضهما الصريح لتصوير الكائنات الحية آدمية أو حيوانية ، وكان هناك عقاب للمثال أو الرسام ، لأنه يحاول محاكاة الخالق المبدع سبحانه وتعالى فيما اختص به نفسه، كما أن الوقت كان قريباً من عهد الوثنية ، ولهذا وذاك كان من المستحيل أن يلقي كل من الفن التشكيلي والتصويري موافقة الفقهاء المسلمين^(١).

وعلى هذا الأساس فقد اختلفت نظرة الإسلام عن نظرة المسيحية تجاه الأيقونات فالإسلام يرفض تصوير ونحت الكائنات الحية أياً كانت، في حين نجد أن المسيحية لا ترفض تصوير ونحت الكائنات الحية، وإنما رفضت تصوير ونحت صور بعينها مثل صور المسيح والعذراء والقديسين والشهداء، واتفقت المسيحية الحقبة مع الإسلام في عدم عبادتها وعدم تقديسها^(٢).

أما عن الاحتكاك اللا أيقونى بين المسلمين والروم فالمعروف أن الإسلام منذ ظهوره يرفض عبادة الصور والتماثيل. غير أن المسلمين لم يتعرضوا لأهل الذمة من المسيحيين، فتركوا كل شيء لهم على حاله في كنائسهم رغم نظرة المسلمين بعين السخرية والرفض للصور والتماثيل الموجودة في تلك الكنائس، وبالنسبة للنقوش المسيحية الموجودة على العملة والبردي — وهى كما ذكرنا من الأمور التي كانت تحتكرها دولة الروم — لم يفكر المسلمون في تغييرها حتى بعد أن وضعوا أيديهم على الشام ومصر ومادامت هذه النقوش مألوفة لديهم، وما دامت تؤدي الغرض منها في استقرار الاقتصاد والأمن الداخلي، واستمر الوضع على ذلك حتى بداية العهد الأموي^(٣).

١) Arnold : Painting in Islam ., p.٩١.

٢) Grabar : Islam and iconoclasm ., iconoclasm ., Birmingham : ١٩٧٥, p.٥٣-٥٤.

٣) Ibid : pp.٥١-٥٢.

ففي عام ٤١هـ / ٦٦١ م أصدر الخليفة معاوية بن أبي سفيان عملة ذهبية وفضية وإسلامية وبدون صورة الإمبراطور والصلبان، ولكن المسيحيين في الدولة الإسلامية رفضوا قبول التعامل بهذه الدنانير لأنها خالية من الصور والصلبان^(١). وغاية ما حدث لهذه الدنانير -بالإضافة إلى الأقمشة والبردي، وهو ما كان للاستخدام والتداول المحلي- كان محو الشعارات المسيحية وإحلال عبارات إسلامية بها آيات قرآنية وعبارات مدح للرسول ﷺ محلها، ولم ينج هذا الإجراء نفسه من رفض الفقهاء المسلمين، لأن هذه العملة والأقمشة والبردي التي كتبت عليها العبارات الإسلامية كانت عرضة للوقوع في أيدي غير المتطهرين شرعا^(٢).

وذكر أناستاسيوس البسيدي أنه في عام ٨١هـ / ٧٠٠ م قام المسلمون بحذف الصلبان من العملة الذهبية، لكن بدون أن يصححوا أو يضيفوا أي نقش حتى لا يثار المسيحيون في الدولة الإسلامية التي كانت تأمل في حذف كل الصلبان من كل العملات والبردي والأقمشة^(٣)، وتم حذف بعض هذه الشارات المسيحية خاصة الصلبان التي استبدلت بها كرات صغيرة، ثم حذفت الشارات المسيحية، وزيدت خطوة جديدة تمثلت في تسجيل عبارات إسلامية انظر أشكال (١٣، ١٧)^(٤). وعندما أصدر عبد الملك بن مروان الدينار الذهبي العربي الخالص، وأرسل عدداً منه إلى الإمبراطور جستنيان الثاني، أصدر الأخير عملة رومية ونقش عليها صورة المسيح على شكلين مختلفين، الأول: بالشعر الطويل واللحية الطويلة، والثاني: بالشعر المصفوف بشكل متجدد ولحية قصيرة وكتب على العملة **Servus Christ**. انظر شكل (١٨) وأرسل عدداً منها إلى الدولة

١) Kaegi : op. cit., p. ٢٢٤.

٢) لوبيز: محمد وشارلمان : إعادة نظر، ص ١١٥ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٦١ م.

٣) Kaegi : op. cit., p. ٢٢٥.

٤) Ibid., p. ٢٢٠.

الإسلامية ظناً منه أن المسلمين يكرهون المسيح ويكرهون رسم صورته، وهو ما يعكس الاحتكاك الديني الأيقوني^(١).

كما تطرقت الرسائل الجدلية بين الخليفة عمر بن عبد العزيز والإمبراطور ليو الثالث في سياقها إلى استفسارات الخليفة عمر بن عبد العزيز حول عبادة المسيحيين للأيقونات ، فيقول ليو الثالث : " ... وكتبت تسأل لماذا نسجد لأيقونة المسيح عيسى بن مريم الذي يشهد على نفسه في كتابكم أنه عبد الله الذي آتاه الكتاب ووهبه النبوءة ، وأنه بشر مبارك يولد ويموت ويحيا يوم القيامة، وأن أقوال المسيح تؤكد ألوهيته وكذلك أفعاله فهو يحيى الموتى ويخلق الأحياء من الكائنات ويشفى المريض ويبرئ الأكمه والأبرص وينبئ بما في الغيب وما يدخر الناس ، وهى أمور ذكرها كتابكم ولكنكم تقولون إنها معجزات من الله وهبها له، والحقيقة أنها تفويض من الله له ، وتقولون في كتابكم إن المسيح هو كلمة ألقاها الله في بطن مريم ثم صارت الكلمة جسداً ، وحلت بيننا ، وإذا كان المسيح قد صار إنساناً فمن الممكن تصويره أو تمثيله. ونحن لا نضرع لأيقونات المسيح قائلين لها: أنت ربى، ولكننا نضرع إلى روح المسيح التي حلت في الأيقونة"^(٢).

وازداد الاحتكاك الأيقونى شدة فيما بعد عام ١٠١هـ / ٧٢٠م، وهو العام الذي ابتداء فيه عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ - ١٠٥هـ / ٧٢٠م - ٧٢٣م)، الذي أمر بأن تحطم كل الصور والتماثيل المقدسة بالكنائس القائمة في الدولة الإسلامية قبل ثلاث سنوات من إصدار ليو الثالث قراره الشهير بتحطيمها^(٣). في الواقع يتفق ذلك مع ما أورده المقرئ من أنه في عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م أمر يزيد بكبس الديارات وقبض على عدد من الرهبان بغير وسم ، فضرب أعناق بعضهم ، وضرب باقيهم حتى ماتوا ، ثم هدمت الكنائس ،

١) Hugh.G: A hand Book of Coinage of the Byzantine Empire., London. ١٩٦٤pp., ١٢٢-١٢٤.

٢) Jeffery : op. cit., pp., ٢٨٠-٢٨١

٣) Grabar : Islam and iconoclasm ., iconoclasm ., Birmingham : ١٩٧٥., p٤٧

وكسرت الصليبان، ومحيت التماثيل، وكُسرت الأصنام بأجمعها وكانت كثيرة^(١).
والسؤال هنا : ما هو سبب صدور هذا القرار؟

أورد ثيوفانيس رواية تفيد بأن يهودياً من مدينة اللازقية على الساحل الشامي جاء إلى يزيد بن عبد الملك، ولفت نظره إلى تكاثر الأيقونات في الكنائس، وتوجه المسيحيين بالصلاة إليها، وإذا قام وحطمها سوف يطول عهده، وعلى أثر تلك النصيحة أصدر الخليفة قراره عام ١٠٥ هـ/ ٧٢٣م، هو الذي يقضي بإزالة الأيقونات من جميع الكنائس في دولته^(٢)، وهذا السبب تجمع عليه معظم المصادر اليونانية واللاتينية على حسب ما ذكره فازيليف^(٣)، غير أن المقريري ذكر أن السبب في صدور هذا القرار يرجع إلى أمور تتعلق بالجزيرة المفروضة على أهل النمة، وأن أسامة بن زيد التتوخي عامل أهل الخراج في مصر على عهد يزيد كان قد اشتد في معاملتهم، ووسم أيدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب وديره وتاريخه، وأن كل من وجد بغير هذا الوسم تقطع يده^(٤). ويبدو أن هناك سبباً آخر بجانب ما ذكره المقريري، وهو أن أهل النمة من المسيحيين في الشام ومصر كانوا قد فرحوا عندما فشل المسلمون في فتح القسطنطينية فشدّد يزيد عليهم^(٥). ومما يؤكد أن هذا القرار كان وقتياً ولم يشمل كل الصور والتماثيل في كل أنحاء الدولة الإسلامية، أن جميع الفسيفساء التي تحمل صوراً لكائنات حية، والموجودة داخل المسجد الأقصى والمسجد الأموي بدمشق، وكل الصور والتماثيل الموجودة بقصور بادية الشام - كل هذه الصور

(١) المقريري : الخطط ، ٢ / ٤٩٣.

(٢) Theophanes : op . cit., col.٨٢١.

(٣) Vasiliev : iconoclastic Edict of caliph yezid., D.O.P., ١٩٥٦., pp. ٢٤-٤٧

(٤) المقريري : الخطط ، ٢ / ٤٩٢-٤٩٣.

(٥) Cedrnus : op. cit., col.٨٦٩.

والتماثيل لم تتأثر بقرار يزيد^(١)، كما أن الإدارة الإسلامية لم تتخذ إجراءات تعسفية ضد الأيقونات بعد مضي عهد يزيد بن عبد الملك^(٢).

ولا نستبعد كما ذكر البطاركة والمؤرخون الروم أن تعاليم الإسلام المتأخم زمنياً وجغرافياً والمتفاعل سياسياً مع الروم، كان لها أثرها الإيجابي على فكر ليو الثالث، فقد كان من مدينة جرمانيك **Germenika** (مرعش) في شمال سوريا، وكانت هذه المدينة كانت قد سقطت في قبضة المسلمين عام ١٦هـ / ٦٣٧م، ولهذا تأثرت حياة ليو الثالث في شبابه بالمسلمين تأثراً كبيراً بحكم ذلك الاتصال الدائم بالمسلمين في مدينة مرعش، كما أمضى ليو الثالث معظم حياته كجندي، وقائد ليثم الأناضول في قتال الجيوش الإسلامية مراراً، وإذا تتبعنا حياة ليو وحياته الحافلة مع المسلمين قلن تعترينا الدهشة إذا عرفنا أن ليو كان على معرفة جيدة بالعالم الإسلامي وفكره وتقاليده، كما كان يعرف اللغة العربية^(٣)، وكان يقرأ القرآن وهو ما دلت عليه مراسلاته مع الخليفة عمر بن عبد العزيز التي تطرقت في سياقها إلى استفسارات عمر بن عبد العزيز عن الأيقونات وكيف يعبدها المسيحيون^(٤)، فمن الجائز أن تكون تلك المراسلات أثرت في تغيير فكر ليو الثالث نحو رفض عبادة الأيقونات، وهذا ما أكده يوحنا الدمشقي الذي بالغ في إعلان التأثير الإسلامي في حركة ليو الثالث في مناهضة وتحطيم الأيقونات، فيقول على سبيل المثال لا الحصر: "اسمعوا يا شعوب الأرض ... إذا علمكم ملككم تعليماً مخالفاً لتعاليم الكنيسة وعقيدتها، فهي تعاليم أخذها عن المسلمين الهراطقة، فسدوا آذانكم، ولا تصغوا إلى فحيح الثعبان"^(٥)، وفي إحدى جلسات المجمع الديني الذي عقد في مدينة نيقية عام ١٧١ هـ / ٧٨٧ م أعلن الأسقف

١) Grabar : Islam and iconoclasm., pp. ٤٨-٥٠.

٢) Nasrallah.J : op. cit., p. ١٤٤.

٣) المبرد : المصدر السابق، ١١٢ / ٢. وللمزيد عن موطن ليو الثالث ومعرفة باللغة العربية أنظر Karl . S.:Kaiser Leons III walten is unnern ., in .BY., ١٨٩٦., p. ٢٩٦.f

٤) Jeffery : op. cit., pp. ٢٨٠-٣١٤.

٥) Demasceni :De Haeresibus., col.١٣١٧.

يوحنا: " أن سياسة ليو الأيسوري ما هي إلا ثمرة بذور ألقاها في قلبه الخليفة يزيد الأموي التافه، فاستجاب له ليو لضعف عقله وجهله بتعاليم دينه" (١)، ويؤكد ثيوفانيس التأثير الإسلامي على فكر ليو الثالث بقوله: "إن كراهية ليو لعبادة الصور نشأت من اتصاله بمذهب التوحيد الإسلامي الخاص بالمسلمين" (٢) وذكر في موضع آخر أن ليو الثالث كان: "ذا عقلية إسلامية **Sarcacen-minded**" (٣). وكان هناك طريق غير مباشر أثر الإسلام من خلاله في فكر ليو الثالث اللا أيقوني، والمقصود به التأثير الإسلامي اللا أيقوني على عقيدة البولسيين التي ترفض تلك العبادة، فقد كانت هناك علاقة بين ليو الثالث وأبنة قسطنطين الخامس وبين البولسيين، ويقال إنهما كانا بولسيين، وقد وصف البوليسيون بأنهم الجناح الأيسر لمحطمي الأيقونات (٤).

ويذكر ثيوفانيس أن اليهود كان لهم تأثير في الحركة اللا أيقونية، فمن المعروف أن الديانة اليهودية تحرم عبادة الصور، وأعنها اليهود صريحة بأنها تخالف شريعتهم؛ فيقول ثيوفانيس: "إن اليهود قد حرصوا ليو الأيسوري ضد الصور المقدسة" (٥)، ولعل الإمبراطور ليو الثالث اعتقد أن تقارب العقيدة المسيحية مع تعاليم الإسلام واليهودية في هذا الصدر، يسهل عليه أمر خضوع المسلمين واليهود، أو توقي شرهم على الأقل حماية للإمبراطور (٦).

وبضيف الدكتور إبراهيم علي طرخان أن ليو الثالث قام بحركته اللا أيقونية لأنه أراد أن يستدرج الرهبان الأيقونيين من معاكفهم وأن يستولي على أملاك الأديرة، فيتوفر له المال اللازم لبناء إمبراطوريته، والتي أصابها وخز كبير من الدولة الإسلامية، ثم إن ليو الثالث وحزبه رأى أن يجعل سلطته عامة، ونفوذه شاملاً على رعية موحدة دينياً، وليست منقسمة، وذلك بالحد من سلطة

١) Mansi : Vol XII ., col . ١٠٩ .

٢) Theophanes : Op . cit . , Col . ٨٢١ .

٣) Ibid : Col ٨٢٨ .

٤) Leslie Barnard: the theology of Images., Iconoclasm., Birmingham: ١٩٧٥. p. ٨٠ .

٥) Theophanes : op . cit . , Col . ٨٢١

٦) Vasiliev: op. cit., p. ٢٥٢ .

رجال الدين على اختلافهم؛ إذ أضحي هؤلاء يتمتعون بسلطان روحي قوي على الطبقات العامة ونفر قليل من الخاصة، وأراد أن يصل من وراء إبطال عبادة الأيقونات إلى الحد من سيطرتهم ونفوذهم^(١)، وليواجه العدو الأخطر، وهو الدولة الإسلامية بإمبراطورية موحدة.

على أي حال لم يمض على قرار يزيد بن عبد الملك ثلاث سنوات حتى أصدر ليو الثالث قراره الجريء عام ١٠٨هـ / ٧٢٦ م بإزالة جميع الصور والتماثيل والأيقونات الدينية، وذلك دون اعتبار لمشاعر عبادها، فلما رأى الشعب القسطنطيني ضابطاً شرع يحطم أيقونة المسيح القائمة في حي النحاس **Cholcopratia** تنفيذاً لأمر ليو الثالث قامت ثورة قتلت فيها النساء، وقتل فيها الضابط، وامت الثورة أنحاء الإمبراطورية، وخاصة جزر بحر إيجه وإيطالية، واستمرت حوالي قرن من الزمان^(٢)، وخلال هذا الصراع المرير ضد الأيقونات وعبادها، لم يتعرض الأيقونيون في الدولة الإسلامية لأي اضطهاد من السلطات الإسلامية بعد عهد يزيد بن عبد الملك، بل كانت بلدان الخلافة الشرقية ملاذاً للمضطهدين من الروم من عباد الأيقونات^(٣).

وكان موقف الإسلام الرافض لعبادة الأيقونات وصناعتها سبباً وراء تلك النظرة المجحفة التي وجنناها في سطور المصادر اليونانية واللاتينية تجاه الإسلام والرسول والمسلمين، كما ذكرنا من قبل. أما عن موقف رجال الدين المؤيدين لعبادة الأيقونات تجاه الإمبراطور ليو الثالث، فإضافة إلى صدور قرار الحرمان ضده أضمرؤا له الحقد، ويكفي ما ذكره ثيوفانيس دليلاً على هذا الحقد فهو يقول: "إنه كان من الخير والأفضل لذكراه أن يموت على أثر إنقاذه للقسطنطينية من حصار المسلمين لها"^(٤). أما قنسطنطين الخامس فقد تعرض للنقد الشديد اللاذع، ووصف بأسوأ الصفات من المؤرخين اليونانية واللاتينية مثل: "وليد الأصبطل الفاجر - الزاني"^(٥). إن سياسته الدينية تعرضت للنقد الشديد، أما شخصيته

(١) إبراهيم علي طرخان: الحركة الأيقونية ص ١٢ - ١٤.

٢) Vita Stephani : Diaconus., Ed. Migne., P.G., Tome .C., Paris: ١٨٦٠., col. ١١٧٢-١١٧٣.

٣) Nicephorus : op. cit. , Col. ٩٧٢.

٤) Theophanes : op. cit. , Col. ٨٧٢.

٥) Vita Stephani : op. cit., col. ١١٧٦ ; Cedrenus : op. cit. , col. ٨٨١ .

كحاكم صلب شديد المراس فقد وجدت مدحاً وتقديراً من المؤرخين الروم (١) ، وذلك لأنه كان أشد عنفاً من أبيه فقد كان رجلاً لاهوتياً، وأدخل على هذا الصراع آراءه الشخصية وألف ما يقرب من ثلاثة عشر بحثاً دينياً، لم يبق منها سوى اثنين (٢) . لأن أعداءه في النزاع الديني قاموا بالقضاء على المادة التاريخية التي تتناول إجابيات عصره (٣) ، ولم يبق سوى الروايات المشوهة.

٤- التأثير الإسلامي على الثقافة الدينية للروم:

. اتجه الروم إلى دراسة ثقافة المسلمين الفاتحين على كره منهم، وذلك لسببين من وجهة نظرنا: الأول : هو دخول الكثير من الرعايا المسيحيين في الدين الإسلامي، فشعرت الكنيسة الرومانية بالخطر الذي يحيط بالمسيحية ومكانتها في الشرق، فتحركت لمحاربة الإسلام. الثاني : أدرك الروم بعد الفتح الإسلامي للشام ومصر، أن المسلمين لن يتحملوا طويلاً حالة النقص الثقافي التي يعيشونها، وأنهم سيفرضون عاجلاً أو آجلاً لغتهم العربية في المعاملات الإدارية، وسوف يتحقق دون إبطاء ما توقعوه، وسيكون الرعايا المسيحيون في الشام ومصر هم ضحاياه.

نذا اضطر سرجون بن منصور والد يوحنا الدمشقي، أن يضيف إلى منهج تعليم أولاد الأسر ذات المقام الاجتماعي السامي والثروة، وذات الطابع الثقافي اليوناني المنهج المعمول عليه عند الخلفاء والأمراء والأغنياء في ذلك العصر (٤) وهو المعروف بحلقة الفنون السبعة الحرة في منهج تهذيب الأمراء وأولاد الأسر، وكان للشعر المقام الأول، بوصفه مدرسة الأخلاق العالية والمشاعر النبيلة، أما النثر فلا وجود له، وقد شمل منهج التنقيف درس القرآن الكريم وربما التفسير (٥)، ويضاف إلى هذه الدروس التي تقتض معرفة القراءة والكتابة الرياضة البدنية التي تصير الولد فارساً كاملاً (٦)، ولم تقتصر الشام ومصر إلى أندية أدبية، فإن يوحنا الدمشقي قد فتح أبواب قصره للشعراء والموسيقيين،

١) Hamartolus : op. cit., Col . ٩٤٨.

٢) Poal. A: Charch Councils . , Variorum . , London : ١٩٧٨ . , P. ٤٩٦.

٣) Theophanis : op. cit ., cols . ٩٠٠ , ٩٠٥.

٤) Nasrallah .J: op . cit., p. ٨٤.

٥) Lammanes : Social. pp. ٢٦٣-٢٦٤.

٦) Nasrallah .J: op. cit., p. ٩٦.

وجميع من يهتم بقضايا الدين، فكان يوحنا الدمشقي يفهم الشعر ويتنوقه، وتهتز مشاعره لدى احتكاكه بشعراء الصحراء، وقد تأثرت بعض تأليفه بهذا الاحتكاك، ولاسيما ثنائيدته وقوانينه^(١). هذا وقد اكتسب يوحنا الدمشقي من تربيته الثقافية المشتركة مع يزيد بن معاوية معرفة القرآن الكريم والفقه الإسلامي، وقد برهن على اطلاعه عليهما في جملته الكتابي مع الإسلام^(٢)، وخاصة في الفصل الخاص بالهرطقات **De Haeresibus**، الذي استشهد فيه بآيات كثيرة من سور "البقرة وآل عمران والمائدة والتحريم"، وهي الآيات التي تتعلق بالمسيح وألوهيته، وكذلك الآيات الدالة على تقديس الكعبة بالإضافة إلى الآيات التي تتعلق بقضاء الله وقدره وسابق العلم الإلهي^(٣). ولقد ولدت كتابات يوحنا الدمشقي في العقول المسيحية للرصينة المتروية التردد والشك، وفتحت باباً واسعاً للطنن في المسيحيين الذين أعمتهم عقيدتهم عن معرفة حقيقة المسيح، وحرية الإنسان وسابق العلم الإلهي، وما فيها من المبالغات التي قادهم إليها الفكر اللاهوتي للمسيحي التقليدي^(٤).

وكان من نتيجة ذلك أن الكنيسة الرومانية في العصر الأموي قامت بتدريس اللغة العربية، لمحاولة قراءة القرآن الكريم لنقض ما اشتملت عليه آياته^(٥)، وقد برهن الإمبراطور ليو الثالث في مراسلاته مع الخليفة عمر بن عبد العزيز على أنه كان يجيد اللغة العربية كما أنه كان مطلعاً على القرآن الكريم، وذلك من خلال استشهاده بآيات القرآن الكريم^(٦).

١) Ibid : p. ٩٧-٩٨.

٢) Ibid : p. ٩٨.

٣) Damesceni: De Haeresibus., cols. ٧٦٢-٧٧٩.

٤) Nasrallah J: op. cit., p. ١١٠.

٥) Choniates : op. cit., cols-١٢٩-١٣٣.

٦) Ghevond : op. cit., pp. ٤٣-٩٩.

الخاتمة

وبعد..

فهذا جهدنا المتواضع جاء محاولة تماثل محاولات باحثين جادين، وأقدم أهم النتائج :

- ١- أن نظرة رجال الدين في داخل دولة الروم إلى الإسلام والمسلمين كانت نظرة سيئة جدا وكان وصفهم للمسلمين من أسوأ الأوصاف إلا أنهم اعتبروا الإسلام دين جديد، وعلى العكس تماما نظر المسيحيين داخل ديار الإسلام للإسلام على إنه طائفة جديدة من طوائف المسيحية العديدة.
- ٢- استقرت الحياة الدينية في دولة الروم بعد انفصال الشام ومصر وخفت حدة الخلافات الدينية خصوصا بين أصحاب المخالفة للمذهب الرسمي لدولة الروم؛ واختفى الجدل اللاهوتي بين الكنائس، وظهر الجدل (الإسلامي - المسيحي - اليهودي).
- ٣- انتشر الإسلام بالتسامح وما الفتوحات الإسلامية سوى تأمين نشر الإسلام، على العكس كان الروم عنيفين في التبشير بالمسيحية حتى في اضطهادهم للمسيحيين المونوفيزيين .
- ٤- فضل الخزر اعتناق اليهودية بدلا من الإسلام أو المسيحية حتى يكون الخاقان الخزري زعيما روحيا مثل الخليفة والامبراطور .
- ٥- كان التأثير الإسلامي واضحا في مذهب البوليسييين الذي كان توحيدا في جوهره ، كما للإسلام تأثيره على فكر الامبراطور ليو الثالث وبخاصة في إشعال نار الحرب على عبادة الأيقونات؛ فضلا عن التأثير الواضح للمسلمين على الثقافة الدينية للرجال الدين المسيحيين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- القرآن الكريم
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، دار صادر ،بيروت ١٩٨٢م.
- ابن البطريق : التاريخ المجموع علي التحقيق والتصديق ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٥.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت: ١٩٥٢ م. ٢٣٠
- ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (دمشق: ١٩٥١م.
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: محمد فهمي السرجاني، المكتبة التوفيقية، للقاهرة، بدون تاريخ نشر أو طبعة.
- أبو يوسف :الخراج ، ط١، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٧٢م.
- البكري : المسالك والممالك، تحقيق د / علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م.
- البلاذري : فتوح البلدان، دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٨٣م.
- ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير الآباء البطاركة ، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٩م..
- سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، مخطوط ، ج ٩، قسم . ص ١٧٤ - ١٧٥ ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة تاريخ.
- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك. مدار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م.
- ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٣م.
- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ،المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٦م؛
- المقرئزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق القاهرة ١٨٥٣م.
- اليعقوبي : تاريخ، اليعقوبي ٤٥/٣ دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠م.

ثانياً: المصادر اليونانية:

- Barthomæi Edesseni : Contra Muhamed.P.G.M.Tome.XCIV.Paris ١٨٦٠.
- Cedrenus :Historiarum Compendium .P.G.M.Tome.CXXI.Paris ١٨٦٣.
- Canstantine VII: de Administrando Imperio. 'P.G.M.' Tome. 'CXIII' Paris: ١٨٩٧.

- Damasceni.J : De haeresibus. , P.G.M. ,tome xciv. , Paris: ١٨٦٠.
- Damascenis . J : De Imaginibus Artianes,ed . migne P.G. Tome. xciv. Paris ١٩٦٠.
- Ghevond : Histoire de Guerre et Conquetes de Arabe en Armenie. Trans. By.V.Chadnozurian. Paris:١٩٥٦.
- Hamartolus.G :Chronicon., . P.G.M.Tome.CX.Paris١٨٦٣.
- John of Nikiu :the ChronicleP.M.G.Paris١٨٦٥ .
- Mansi.J : sacrorum conciliorum ova et amplissima collectio svinice.١٧٧٠.
- Michel le Syrien Chronique.ED.and.tr.B.J.B.Chabot.in.jv.Paris١٩٠٥.
- Nicetas Choniates: historia. P.M.G Paris١٨٦٥.
- Nicphorus: Breviarum Historicum de Rubus Gestis post Imperium Mauricii .P.G. M. Tome .C . Paris: ١٨٦٠.
- Procopius: The Anecdota or the secret History . Trans. By .H.B. Dewing . Great Britan : ١٩٥٤.
- Sebeos: Histoire D'Heraclius.Trans.By.f.Macler. Paris:١٩٠٤
- Vita Stephani : Diaconus. Ed. Migne. P.G. Tome .C. Paris: ١٨٦٠.
- يهوذا هالبفى : هخوزري هو تسأت أورعيم هسروت مهخيورت للمود فلقرباه ١٩٧٨.

ثالثا: المراجع الأجنبية :

- Bardy : Les Trophées de Damas Controverse Judes Chretienne du. vlle p.0,١٥,١٩٢٧
- Bury :the Imperial Administrative system in Ninth Century. London..
- Dunlop: the History Of the jewish Kazars. Princeton : ١٩٥٤ .
- Finlay : Finlay : History of Byzantine Empire. New York: ١٩١٤.
- Grabar : Islam and iconoclasm . iconoclasm . Birmingham : ١٩٧٥
- Hugh.G: A hand Book of Coinage of the Byzantine Empire. London. ١٩٦٤.
- Kaegi : Byzantium and the Early Islamic Conquests, Cambridge: ١٩٩٦.
- Karl . S.:Kaiser Leons III walten is unnern . in .B٢. ١٨٩٦.
- Koestler: The Thirteenth tribe the Khazar Empire end its Heritag. Landon ١٩٦٥
- Lammens : Etudes Sur l siecle De Umayyades. Beyrout : ١٩٣٠.
- Leslie Barnard : the theology of Images. , Iconoclasm. , Birmingham: ١٩٧٥.
- Poal. A: Charch Councils . Variorum . London : ١٩٧٨ .
- Stratos: Byzantin in the Seventh Century, Vol I , Trans. by Marco Ogilive, Crant , Amesterdam: ١٩٦٨.

-Vasiliev :History of the Byzantine Empire. Tr.from the German.By.Hussy.J.M.London ١٩٥٦.

- Vasiliev : iconoclastic Edict of caliph yezid. D.O.P. ١٩٥٦.

رابعاً: للمراجع العربية:

- إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.

- إبراهيم على طرخان: الحركة الأيقونية في الدولة البيزنطية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م.

- أحمد أمين : ضحى الإسلام، ط١٤، مكتبة النهضة الإسلامية ١٩٧٨م.

- اسحق عبيد :محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها ، القاهرة : ١٩٨٥- ١٩٨٦.

- أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وعلاقتهم بالعرب ، ط١، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٥م.

- أومان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٣م.

- جرونييام : حضارة الإسلام. ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة ١٩٥٦م.

- جواد علي : يوحنا الدمشقي ،مجلة الرسالة ، بغداد ١٩٤٥م.

- ج.م. هسي : العالم البيزنطي، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور رأفت عبد الحميد ، ط٣، دار الثقافة والنشر، القاهرة ١٩٨٥م..

- ديورانت : قصة الحضارة ، عصر الإيمان مج ٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٨٦م.

- سيد أحمد الناصري : اتباع بولس السمساطي تأثرهم بالإسلام وتأثرهم في الغرب الأوربي ، مؤتمر المسلمون في أوربا ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، قسم التاريخ ، إبريل ١٩٩١ ، لم ينشر بعد.

- عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة: دراسة في جنود الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- عبد الوهاب القرش، العلاقات الحضارية بين المسلمين والبيزنطيين، مكتبة شباب الجامعة، القاهرة: ٢٠٠٣م.

- عبد الوهاب القرش، قبرص والعلاقات الإسلامية البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة: ١٩٩٩م.

- علي الغمراوي : مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبي ، ط٢ ، مكتبة سعيد رافت ، القاهرة ١٩٧٧م .

- عماد الدين خليل ، في التأصيل الإسلامي للتاريخ ، دار الوفاء ، المنصورة : ١٩٩٨م .

- فلهوزن : تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، نقله عن الألمانية محمد عبد الهادي أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨م .

- فليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ١٩٥٠م .

- لوبيز : محمد وشارلمان : إعادة نظر ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

القاهرة ١٩٦١م .